زهـــرة اللُّواتـــا

"رواية"

محمد فتوح

obeikandl.com

زهرة اللواتا
محمد فتوح/ كاتب مصري
الطبعة الأولى يناير 2017
ISBN/ 978-977-829-002-8
رقم الايداع: 3826/ 2017

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.
جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل مـن الأشـكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

تصحيح لغوي: رشوان أحمد
غلاف : NileDesign.com
دار الابداع للنشر والتوزيع
موقع دار الكتب
أبراج عثمان- كورنيش المعادي
القاهرة - مصر
هاتف: 0100-205-2266
E-mail: info@Daralkotob.com
www. Daralkotob.com

obeikandl.com

زهـــرة اللُّواتـــا

obeikandl.com

obeikandl.com

بعد منتصف الليل وقف تامر وبجواره عصام يشاهدون المدينة ليلًا من خلف إحدى النوافذ.

- الأقصر في الليل أكثر من رائعة، أليس كذلك؟

رد عصام الذي كانت بادية على وجهه علامات الغضب:

- نعم.

- لماذا أنت عابس هكذا؟

- لا أعرف ما الذي يجعل علي يخرجنا من الغرفة التي بها الخزنة!

- وهل تستطيع أنت فتحها؟

- لا، لا أستطيع، ولكني طلبت منه أكثر من مائة مرة ولا يريد أن يعلِّمني، ولا يريد أن يجعلني أشاهده حتى، هل نسي أن والدي هو من علَّمه هذا.

- لا لم ينسَ يا صديقي أن والدك من علَّمه هذه المهنة، ولم ينسَ إن والدك من ربَّاه بعد موت والديه، ولكن لا تنسَ أنه يعمل الآن لوالدك، وأنه حاول مرارًا وتكرارًا أن يعلِّمك ولكن عقلك ليس معنا؛

obeikandl.com

فأنت كل ما يشغل بالك هو اللهو والسهر وملابسك التي تحتار فيما بينها.

- أنا لا أقصد شيئًا مما تظنه!

- صدِّقني تقصد، وأريد أن أخبرك فقط أنه أخرجنا من الغرفة لأن الخزنة كبيرة وصعبة الفتح وكان يريد أن يركِّز.

- هل نحن نشتِّته والموسيقى التي في أذنه تساعده؟!

- نعم هذه طريقته. والآن دعنا من علي وقل لي، لماذا أنت هذه الأيام تجلس مع التوأم معظم الوقت؟

- نحن فقط أصدقاء.

- أليسا هما السبب فيما حدث لعلي؟

- نعم، ولكن هذا كان في الماضي.

- الماضي، هاه!

من الداخل، نادى عليّ على الاثنين.

- انظرا ومتِّعا أعينكما.

عصام ينظر بإعجاب.

- أنت عبقريّ يا علي!

- نعم، أعرف.

وهم يملئون الحقائب بالمال.

- كيف عرفت أن هذه الشركة ستكون مليئة بالمال اليوم؟

- أنا لم أعرف، ولكن هناك من يقول إن شركات الصرافة تكون ممتلئة بالمال في أول الأسبوع، وآخرون: في آخر الأسبوع.

- وأنت اخترت يوم الاثنين منتصف الأسبوع حتى لا تحتار.

- نعم، ضربة حظ، ولم أكن أعلم أنها ستكون ملآنة هكذا، ولكن حدسي أخبرني بذلك ... حسنًا أرجو ألا تكونوا قد تركتم بصمات بالخارج.

- لا تخَف؛ فنحن لم نخلع قفازاتنا.

- أنا لا أخاف من تامر، أنا أخاف منك أنت.

بينما اتجه تامر إلى جهاز الإنذار الموضوع على الحائط.

- حسنًا، لنخرج؛ حتى أعيد الإنذار كما كان.

الثلاثة في مقتبل العقد الثالث، معتدلو الطول، إلا إنهم يختلفون من حيث إن عصام هو الابن المدلَّل لرئيس العصابة التي يعمل بها، وتامر يعيش مع والدته بعد أن تُوفي والده، وعلي الذي يميزه أن له ندبة في وجهه ويعيش مع تامر.

****

على مكتبه في بيته جلس حمدي الجزار - طويل، له شعر وشارب، مائل إلى الحمرة، ذو عينين جاحظتين - وأمامه مساعده وذراعه الأيمن عابدين -ضخم الجثة، أصلع الرأس، له صوت غليظ- بعد أن قضى وقتًا طويلًا قلقًا ينظر في ساعته توجه لعابدين قائلًا.

- هل أتى الأولاد؟

- لا، ولكن اطمئن يا زعيم، ستجدهم هنا الآن. (وبعد لحظة) أنا أنظر إليك وأرى أنك لم تعد مثل سابقٍ يا زعيم!

- (أخذ نفسًا عميقًا ثم أسند رأسه على كرسيه) نعم لم أعد؛ فأنا أشعر بأن كل شيء جمعته طوال حياتي يضيع مني.

- كيف ذلك يا زعيم ولا يوجد أحد تحدَّاك أو ضايقك على قيد الحياة الآن؟!

- هذه هي المشكلة، كل من يقف أمامي أقتله، أسرقه، أو حتى أسلمه بيدي للشرطة. لم أعد أستطيع أن أثق في أحدٍ أو أحب أحدًا، أنا أشعر أن الجميع أعداء، هل تعرف أن هذه الحارة أنا من أطلقت عليها اسم خلف الأسوار، وأنا أول من أتيت إلى هذه المنطقة مع أصدقائي، ولم تكن إلا منطقة عشوائية قذرة لا بها ماء ولا حتى هواء، قررنا أن نبني فيها بيوتًا لنا من الصفيح. كان هذا في الماضي وكنا صغارًا، ولكن انظر الآن، الشوارع كثيرة ونظيفة وامتلأت بيوتها بالسيئين والأشرار من كل صنف ولون.

- حسنًا، أنا لا أرى مشكلة في هذا التغير للحال، ولكن الجميع يعلم أنك الزعيم. (صمت لحظة) هل هناك ما تخفيه عني؟

- علي يريد أن يتركنا ويعمل بمفرده.

انزعج عابدين ووقف وأخذ يتمشى في الغرفة غاضبًا.

- كيف يجرؤ على قول هذا؟! هل نسي نفسه هذا الغِرَّ؟ وأنت ماذا قلت له؟

- اتفقت معه أننا سنناقش هذا الموضوع عندما يعود.

في هذه الأثناء دخل الثلاثة الغرفة ووضعوا الحقائب على المكتب.

- آه، ما أجمل هذه الرائحة!

أخرج الجزار المال من الحقائب وظل يرصّه فوق بعضه، والجميع أمامه جالسون.

- هل من الممكن أن آخذ حصتي الآن؛ لأن عندي ما هو أهم سأفعله الآن؟

رد عليه الجزار وهو يتلاعب بالمال بين يديه.

- وما هو؟

- أخبرت أصدقائي أني سأكون معهم في هذا الوقت.

- لن تخرج حتى نرى ما سيفعله علي بنا.

- ماذا؟

هنا تدخَّل عابدين قائلًا.

- علي يريد أن يتركنا بعد كل هذا الوقت ويعمل بمفرده.

- هذا موضوعي مع الزعيم، لا تتدخل أنت.

- (عابدين غاضبًا) هل نسيت أننا من جعلناك هكذا؟!

- (وهو يشير إلى الندبة في وجهه) هكذا! لا لم أنسَ.

obeikandl.com

وبينما الجزار جالس يبرم في شنبه.

- حسنًا يا علي، لن ترحل عنَّا.

- (بصوت متزن) عندما أخبرتك أني سأرحل لم يكن طلبًا أطلبه منك، ولكنه قرار اتخذته وأردتك أن تعلمه. أنا الآن حرّ، ولن أعمل معك بعد الآن، ولن تستطيع هذه الغوريلَّا (وهو يشير إلى عابدين) ولا أحد من أتباعك أن يُثنيني عن قراري هذا.

ظل الجزار ينظر لعلي بعينين ضيقتين والجميع في صمت ينظرون إلى علي الذي كان محدقًا إلى الجزار بعينين مليئتين بالتحدي ثم قال في هدوء.

- ماذا! هل ستقتلني لأني لا أريد أن أعمل معك؟!

- وهل رأيت أحدًا قتل ابنه قبل ذلك؟!

- أنت من علَّمني يا زعيم، وتعلم أن هذه اللغة لا يوجد لها ترجمة عندي. تريد أن تعرف السبب الذي جعلني أكون أول من يخرج عن طوعك ويعصى أوامرك؟

أشار الجزار بيديه، في حين وقف علي وبدأ يتجول في الغرفة مكملًا حديثه غاضبًا.

- ليس ابنك فقط الذي يتسكع مع ابنَي المرغني اللذين تسبّبا لي في هذه الندبة، وأنت سعيد لأنهم أولاد الزعيم الآخر، وأنت لا تريد نزاعًا معه. ليس لأنك علمتني السرقة بعد أن مات أخوك وزوجته؛ لتجعلني أسرق الأقصر كلها وابنك ينفقها على لذاته وأهوائه، وهو لا يستطيع أن يسرق ميتًا محفظته في يده.

ونحن ماذا نأخذ؟! تامر يكسر الإنذار، وأنا أفتح أعتى الخِزَن، وابنك ماذا يفعل؟! لا شيء، هل تعرف لماذا يأتي معنا؟ حتى تضمن أنت أننا لن نسرقك. ونسيت أنك أنت الذي تسرقنا! هل تعلم لماذا سأترك العمل معك؟ لأنك تثق في هذه الغوريلا (وهو يشير إلى عابدين) ثقة عن ابن أخيك، هو يعرف كل أفعالك الخبيثة ومؤامراتك الدنيئة وأنا لا أعلم سوى مكان السرقة وميعادها. لقد ضقت ذرعًا وآن الأوان أن أخلع هذا السوار من رقبتي، (بصوت هادئ) هيا أعطنا حصتنا من مالنا الذي سرقناه لك لنرحل أنا وتامر.

صمت الجميع لحظة في حين بدأ الجزار يضع المال في الحقائب برفق ثم رماها أمام قدمي علي، ثم تحرك ببطء ناحيته إلى أن وقف أمامه وعلى وجهه ابتسامة ضيقة.

- عندما مات والداك لم يتبقَّ لك أحد، أخذتك لتُرَبَّى مع عصام ودعاء، عاملتك مثل ابني، وعاملوك مثل أخيهم، دخلت المدرسة معهم وتعلمت، ولكني وجدت فيك الذي لم أرَه في عصام؛ أصابعك

وسرعتك وتركيزك، كل الصفات التي تجعلك تخلُفني. علَّمتك كل ما أعرفه، تركتك تتعلم من كل ما حولك، سمعتك التي أخذتها لأنك فقط تعمل معي. اذهب، أستطيع أن أعلِّم ثانيًا وثالثًا، وإن كان ابني يمرح مع أولاد المرغني الذين شوهوا وجهك وأنت تدافع عن عصام عندما كانوا يحاولون ضربه، فهذا منذ أن كنت صغيرًا، ووالدهم بنفسه أتى وراضاك، وأنت تعلم أني لم أتركهم إلا عندما طلبت أنت ذلك.

وكوني لا أثق بك لا أعرف كيف هذا، ولكن من الآن أنا من يخبرك أنك لن تعمل معي بعد اليوم. ولكن لا تنسَ أنني أنا والدك، وهذا بيتك، وعصام ودعاء إخوتك، وأنهم يحبونك وسيحتاجونك دائمًا، ولن أسمح لعابدين أو أي شخص مهما كان أن يمسّك ما دمت حيًا، هل تعرف لماذا؟ لأنك ابني الأكبر، المال الذي سرقته من أجلي تحت قدمك، خذه لا أريد منه شيئًا.

ابتسم الجزار ثم عانق عليًا وخرج من الغرفة بعد أن طلب من عصام وعابدين أن يلحقا به.

أمسك علي الحقيبة وأخرج منها حصته وحصة تامر ثم وضع الحقيبة على المكتب.

- ما هذا؟ ألن نأخذ الحقيبة؟

- لا، لن نأخذها، لا تقل لي إنك صدقت هذه الدراما. إنه الجزار!

- ولكن.

- لا يوجد لكن، هيا لنعود إلى البيت.

في طريق العودة.

- تعالَ معي، سنزور العم رشاد.

- في هذا الوقت، ألم تنظر لساعتك؟

- بل انظر أنت إلى الحارة؛ إن الناس في كل مكان كأنه نهار.

- لا لن آتي، سأذهب إلى البيت، وسأعدُّ العشاء لأني جائع. وأتمنى أن أجد أمي مستيقظة حتى أخبرها بما حدث وأظل أسمع لعناتها على الجزار إلى أن تأتي.

- أراك في المنزل إذن.

****

في أقصى الحارة بيت من طابق واحد حوله حديقة صغيرة به بعض الأزهار، حيث يسكنه رجل في السبعين أبيض الشعر واللحية يدعى العم رشاد.

عندما وصل علي وجد الباب مفتوحًا ووجد في الداخل رجالًا يجلسون على طاولة بينهم العم رشاد الذي رأى عليّا وطلب منه الدخول ولكن عليّا استأذنه ليقف خارجًا إلى حين الانتهاء من اجتماعه.

على أحد المقاعد جلس علي وأسند ظهره للوراء وأشعل سيجارة وترك العنان لتفكيره.

ترى هل سيتركني الجزار هكذا؟ هل سيحاول قتلي؟ أمن المعقول بعد أن علَّمني كل حيله وأرساني على خبايا المهنة سيدعني أحصد نعيمها وحدي؟! لا، لن يتركني؛ فأنا وتامر الوحيدان اللذان نستطيع سرقة الخزن، أما الباقي فنشَّالون وعصابات وقتلة، وأنا ضقت ذرعًا بكل هذا.

إنه يريد أن يبني إمبراطورية يناطح بها غريمه المرغني. مسالة قوة.

ولكن أنا لن أترك نفسي لأتعفَّن وسط هذا الصراع، يكفيني موت والديّ، يكفيني وجهي الذي تشوّه وجعلني وحيدًا لا أحد يحبني ولا يقربني، إلا دعاء التي تحنو على دائمًا ولم تحسسني يومًا أنها ليست أختي. وهذا الأخ والصديق ووالدته التي تفعل المستحيل لتجعلني لا أشعر أني فقدت أمي، وهذا الرجل العجوز الذي هو دائمًا أذنٌ لي وأب رحيم ومعلم سابق. كفى بهؤلاء، من الآن سأكون ملك نفسي. وملك من أحبني، لن أكون عبدًا لإنسان يهوى الدم ويعشق المال، من الآن من لم يعتبرني مكسبه لن أكون رأس ماله.

في هذه الأثناء بينما علي مسترخٍ، عبَر مَن كان في الداخل أمامه تاركين السلام، ولم يمضِ قليل حتى أتى العم رشاد وجلس بجواره وفي يده صندوق وضعه بجانبه.

- لقد نسيت أن أشعل نور الحديقة، انهض أنت.

رد عليه علي مبتسمًا.

- ولماذا لا تنهض أنت؟ أنا أعذرك لأنك رجل عجوز، وتريدني أن أعذرك لأنك كثير النسيان!

- من فضلك.

وبعد أن عاد علي سأله العم رشاد.

- هل أنهيت مهمتك؟

- نعم، والشرطة أتت وكادت تقبض علينا.

سأل العم رشاد منزعجًا.

- وماذا فعلتم؟

- هربنا وركبنا السيارة، وظلت تطاردنا، وتبادلنا النيران طويلًا، ولم نستطع الهرب منهم بعد أن كثر عددهم فقررنا أن نختبئ.

obeikandl.com

- أين؟

- في قسم الشرطة.

وضحك علي وابتسم العم رشاد.

- أنت تعرفني جيدًا، لا يوجد أحد يستطيع أن يقتفي أثري.

- ولماذا أيها الابن المغرور؟

- لأني وضعت أثري مع الأهرامات في الجيزة.

جئت أبشرك بخبر سيسعدك.

- أسعد من أني أراك؟

- لقد تركت العمل مع الجزار.

صمت العم رشاد ثواني وهو يحدِّق في علي ذاهلًا ثم سأله بصوت هادئ.

- تركك هكذا؟!

- لقد تجادلنا قليلًا، وأنت تعلمه جيدًا، حاول أن يقوم بدور الحاوي ويرقِّص الأفعى، ولكنه نسي أنها لا تسمع ولا ترى أيضًا.

obeikandi.com

بينما كان علي مبتسمًا ظل العم رشاد صامتا مفكرًا إلى أن تابع علي.

- ماذا؟ ألم تكن أنت أول من قال لي اتركه، وكذلك والدة تامر؟!

- قلنا لك أن تتركه عندما تقرر أن تذهب بعيدًا. هل ستذهب بعيدًا الآن؟

- لن أذهب إلى أي مكان.

- علي ... أنا خائف عليك؛ منذ أن مات والداك وأنا أعتبرك أكثر من ابن لي، وهناك أشياء لم أرد أن أخبرك بها خوفًا عليك وعلى حياتك، ومن بينها ما فعلته اليوم. هل تظن أنه سيتركك هكذا؟!

أنا أكثر إنسان عرف هذا المخلوق، وكل من عرفه على حقيقته تحت التراب الآن، أتريد أن تكون هكذا؟!

- لم أكن أعرف أنك عجوز ضعيف القلب هكذا. لا تخف عليّ.

(وهو يبتسم) دعني الآن أدخل لأعدَّ كوبين من الشاي، وأنت الحق بي لنكمل حديثنا في الداخل.

دخل علي ليعد الشاي وترك العم رشاد مهمومًا حزينًا يفكر في علي.

بعد قليل...

في الوقت الذي وضع فيه علي الشاي على المائدة وضع العم رشاد الصندوق أمام علي.

- ما هذا؟

وهو يفتحه.

- كتاب؟

- نعم كتاب.

أخذ علي يتفحص غلاف الكتاب القديم الذي في يده ويتابع الرسومات التي عليه وهو يتحسسها وبينما هو يحاول فتحه ولكنه لم يفلح، ومرة بعد مرة.

- هنا الفكرة، هذا ليس مجرد كتاب.

- لماذا لا يفتح؟

وهو يحاول.

- لن يفتح إلا إذا وضعت هذا المفتاح على غلافه.

obeikandi.com

وبينما العم رشاد يناول عليّا قطعة من المكعب هي أيضًا منحوتة بطريقة جميلة وعليها رسومات للأفاعي والعقارب مثلما على غلاف الكتاب.

وضع علي قطعة المكعب (المفتاح) على غلاف الكتاب في منطقة محفورة مخصصة له، وانفتح الكتاب.

أخذ علي يتفحص صفحات الكتاب القديم الضخم وهو في حالة إعجاب شديد.

- إنه عن الفراعنة!

- ماذا؟ كيف عرفت؟ هل تعرف أن والدي هو من أخرج مقبرة توت عنخ آمون في بدايات القرن الماضي.

- هل كان مكتشفها؟

- ليس تحديدًا، كان حفارًا، ولكنه أول قدم وطأت أرض المقبرة.

- (في استهزاء) حفار؟ هاه!

كيف عثرت على مثل هذا الكتاب النادر، إنه ثروة.

obeikandi.com

- الأسبوع الماضي كان أحد الأولاد يقوم بسرقة إحدى الشقق ووجد هذا الصندوق مخبأ في الدولاب، وكان مغلقًا بقفل فأتى بالصندوق كله إلى هنا ظنًّا منه.

قاطعه علي مكملًا وهو ينظر إلى الكتاب بإعجاب.

- إنه يحوي مجوهرات أو مالًا، ولكن عندما كسرتم القفل وجدتم هذه التحفة الثمينة.

- الجميع لحقتهم الحسرة عندما رأوا هذا الكتاب، ولكني عرفت أنك ستسعد لو أعطيته لك.

وعلي يقلب صفحات الكتاب.

- أنا لم أرَ في حياتي مثل هذا الكتاب؛ انظر إلى أوراقه، إنها

قديمة جدًّا وليست مثل أوراقنا. انظر إلى طول الصفحة وعرضها، انظر إلى هذا الحبر الأسود وهذه اللغة والرسومات.

أتدري أن مثل هذا الشيء لو بيع أتعلم كم سيجني؟

- من المؤكد أنه لن يجلب الدمار، ولكن وجهك يشير إلى أنه ثمين وسيدر أموالًا كثيرة، اسمع، إنه لك، ولكن لو بعته تذكَّر أني من أعطيتك هذا الكتاب.

obeikandl.com

- حسنًا، سأرى له بيعة غدًا ولكن لا بد أن أرحل الآن؛ لأن تامرًا ينتظرني بالعشاء، أراك غدًا.

****

في منزل تامر، وأمام التلفاز جلس الاثنان مسترخيين، وأمام علي طبق من التسالي: اللب والفول السوداني، يأكل منه.

-هل نامت؟ (وهو يشير إلى غرفة والدة تامر)

- نامت؟ أنت تمزح، لم يبقَ على استيقاظها إلا ساعات قليلة.

لقد تركت لنا العشاء في الثلاجة وأنا أكلت، ألن تأكل؟

- لا أنا اكتفيت بهذا، (وهو يشير إلى الطبق الذي أمامه).

- (في تعجب): ما هذا!

- أنا مرهق وأريد أن أنام.

- لم تقل لي، ماذا بداخل هذا الصندوق الذي وضعته في غرفتنا؟

- به كتاب عن الفراعنة.

- كتاب!

obeikandl.com

- (وهو يتثاءب من التعب) هل تسمع هذا الصوت؟

- ماذا؟ أي صوت؟

- إنه سريري مشتاق إليّ، سأذهب له، وأتمنى ألا يوقظني أحد.

فأنا سأنام أسبوعًا كاملًا.

****

في اليوم التالي.

في مكتب الجزار في مخزنه.

- هل كلفت أحدًا بمراقبته كما أمرتك أمس.

- نعم، رجلنا قال إنه قضى الليل بعد أن تركنا فورًا مع رشاد وبعد ذلك عاد إلى البيت وفي يده صندوق.

- وبالطبع لم يعرف ما بداخل الصندوق؟

- لا.

هنا تدخَّل عصام قائلًا.

obeikandl.com

- من المؤكد أن العم رشاد هو السبب فيما حدث بالأمس.

رد عليه والده بهدوء.

- نعم. (وبينما هو جالس على كرسيه أسند ذقنه على عصاه وأخذ يفكر)

- إنه مثل الثعلب الذي تعلَّم حياة الذئاب.

هنا ابتسم عابدين الذي كان ينظر إلى الجزار بخبث قائلًا.

- لو كان ثعلبًا تعلَّم حياة الذئاب وأراد أن يأكل معهم فهو من المؤكد يعلم أن الذئاب عندما تجوع – وبلا رحمة – ستأكله.

- ما معنى هذا؟

هذا ما سأله عصام قبل أن يرد عليه عابدين بنفس الابتسامة الخبيثة.

- ستعلم في الوقت المناسب.

****

في منزل تامر.

استيقظ على من نومه في أول الليل، وجد على الطاولة تامر يجلس وبجواره دعاء بنت حمدي الجزار – فتاة خمرية اللون، سوداء الشعر،

obeikandl.com

بنِّية العينين، تعمل مدرسة ابتدائي، وهي الوحيدة في بيت الجزار الذي يعرف الجميع عنها أنها الحمل الوديع في وكر الذئاب الذين لم يستطيعوا تلويثه بدمائهم.

- دعاء؟

- وماذا ترى؟

وعندما اقترب منها ليعانقها.

- لا تقترب مني، ألم تقل لي الأسبوع الماضي إنك كنت ستخرج معي أمس أنا وأنت فقط؟!

- آسف أنا فعلًا كنت مشغولًا.

- وما الذي يشغلك، هل بدَّلت ورديتك وأصبحت تسرق نهارًا؟!

- ألم تعرفي ما حدث في بيتكم أمس؟ (وبينما هو يتكلم قاطعته).

- ألم أقل لك قبل ذلك إن أحجيات العصابات لا تسري معي؟! وثانيًا لا

تُقحمني بينك وبين والدك أو أخيك؛ أنا عندي ما يكفيني لأشغل نفسي به.

في هذه الأثناء كانت والدة تامر تضع بعض أطباق الطعام على المائدة ... فسألها علي.

- هل هذا غداء؟

بعد أن ضحكت الأم طويلًا باستهزاء.

- ماذا؟ غداء؟! (تجاهلت عليّا ثم عادت

إلى المطبخ لتحضر باقي الطعام).

ثم نظر علي لدعاء.

- حسنًا، ماذا تريدين الآن؟

تدخَّل تامر ضاحكًا.

- لقد أتت لتطلبني للزواج من أمي.

- أريدك أن تخرج معي اليوم.

- حسنًا سأجهز فقط.

- وأنا ما زلت غاضبة مما حدث أمس، ولكني وجدت طريقة تصالحني بها.

obeikandl.com

- وما هي؟

- أريد هذا الكتاب (وأشارت إلى الكتاب القديم الذي كان أمام تامر).

- لا، وألف لا هذه تحفة أثرية، سيجني الكثير من المال وأعدك لو بعته بثمن معقول سأحضر لكِ أجمل هدية.

- أنا لا أريدك أن تبيعه أيها الأبله؛ أنا أريده لاكتشف ما به.

- (وهو ينظر لتامر باستهزاء) اليوم المدرِّسة أصبحت عالمة آثار

وأمس والد العم رشاد! أين أنا؟

- هل كان والد العم رشاد عالمًا!

في هذا الوقت نادت والدة تامر على الجميع ليجلسوا على المائدة.

وعلى مائدة الطعام:

- قابلت اليوم العم رشاد في السوق وكان يريد أن يراكما أنتما الاثنين وقال لي إنه أمر هام.

- حسنًا سنمرّ عليه عندما نعود أنا وتامر من الخارج.

- تقصد من! أنا لن آتي معكم.

opelkanal.com

- لماذا سنقضي وقتًا ممتعًا، سنكون أنا وأنت ودعاء وزميلتها سماح، سنذهب إلى السينما.

- من؟ أنا لا تعجبني بصراحة هذه المتعة، أنا أستطيع إمتاع نفسي، اذهب أنت، وعندما تعود ستجدني منتظرك في المقهى.

تدخَّلت الأم بسخرية.

- نعم يا علي، اتركه ليذهب إلى أحلام.

- وهل ذنبي أن من يملك المقهى ويعمل به مجموعة من الفتيات.

ألست مثل جميع من يجلسون هناك؟

- لا يا تامر؛ لست مثلهم فهم يذهبون للجلوس في المقهى وأنت تذهب

لتجلس بجوار أحلام.

- لم يحدث هذا، أنا حتى لا أعرفها.

- (باستهزاء) حقًّا، لقد قال لي رشدي البقال إنه يراك تجلس دائمًا معها وبجوارها على مكتبها، هل هذا الرجل العجوز كاذب أيضًا.

- (بصوت خافت) يا له من نمَّام واشٍ! عندما أراه!

obeikandl.com

- ماذا تقول؟

- حسنًا يا أمي، سأذهب معهم، استريحي أنت.

سألت دعاء:

- ماذا قلت يا علي؟ هل ستترك لي هذا الكتاب؟

- (وهو يأخذ نفسًا عميقًا) حتى لو رفضت وصرخت ستظلين تُلحِّين حتى تأخذيه، ولكن أنا سأخبرك بما هو نهائي، أنا سأعطيك الكتاب إلى أن أجد له بائعًا وبعد ذلك سأعيده.

- (وهي سعيدة) وهو كذلك.

- هناك شرط واحد، ألا يراه مخلوق كائن ما كان، اتفقنا.

- اتفقنا، والآن، ألم يحن الوقت؟ لقد أصبحت السابعة مساءَ وأرجو ألا يفوتنا عرض الثامنة.

- حسنًا، سنجهز سريعًا ثم ننطلق.

****

في هذه الأثناء كان الجزار وعابدين يجلسون في بيت العم رشاد وعلى طاولته.

obeikandl.com

- لم أسمع منك ردًّا أيها العجوز.

في هذا الوقت كان العم رشاد يضع الشاي أمام الجزار وجلس أمامه.

- تريد أن تسمع ردًّا بعد الذي سمعته منك! صحيح؟

- نعم.

- تريدني أن أشيَ بعلي وتامر ليعودوا إليك مذلولين.

- إنهم أولادي، وهذا حقي فيهم ومن الأولى لهم أن يكونوا معي.

رد العم رشاد في اشمئزاز.

- أولادك! همم، أنا وأنت نعرف الماضي، ولا داعي لنعيده. لو كانوا أولادك حقًّا كما تقول فمن الأفضل أن تتركهم ليشقُّوا طريقهم بطريقتهم.

بعد أن نظر الجزار إلى عابدين الذي بادله الغضب قال لالعم رشاد.

- يبدو أنك فهمت أنني أطلب منك هذا ... سأعيد ثانية، أريدك أن تساعدني على أن أعيد الأولاد لبيتهم الأصلي وتنفذ ما طلبته منك. هل وضحت الرؤية الآن؟

- أفهم من هذا أنه أمرٌ ومن المفترض أن أنفذه بدون جدال؟

obeikandl.com

والجزار ينظر إلى العم رشاد بعينين ضيقتين وابتسامة خبث تابع العم رشاد.

- وإن لم أفعل، سيكون مصيري مثل والدَي علي ووالد تامر وغيرهم ممن اعترضوا طريقك أو رفضوا تنفيذ أوامرك؟

والجزار يزداد ابتسامًا.

- (وهو يأخذ نفسًا عميقًا) ماذا ستفعل يا جزار؟

رد عليه عابدين بصوت غليظ.

- سيعودون، ولكن على طريقتنا الخاصة.

ثم أكمل الجزار.

- ما هو قولك أيها العجوز؟

- ولكنه لا يريد أن يعمل معك ثانية. ألا تفهم أنت؟

نظر الجزار إلى عابدين ثم نظر إلى العم رشاد الحزين قائلًا له في هدوء.

- هل تتذكر هذه الأيام عندما كنا نعيش في هذا

البيت معًا، كنت دائمًا أراقبك وأتعلم منك ليس وجهًا لوجه.

obeikandl.com

ولكني كنت أراقبك عندما كنا صغارًا، كنت أراك لصًّا ضعيفًا يسهل الإيقاع به، كانت أفكارك تافهة وسرقاتك أتفه منها. هل تريد أن تعرف لماذا أنت على قيد الحياة حتى الآن، تريد أن تعرف؟ كل هذا لسببين: إما لقلبك الطيب الذي جعلني أفكر مرارًا وتكرارًا في أنك لا تمثل لي أي خطر، وإما أن يكون من تركك قد فعل ذلك تكرمًا لي؛ يعتقدون أنك من علَّمتني. ولو كان هذا قد حدث لكنَّا أنا وأنت تحت التراب الآن. هل تعلم؟

لقد أضعت وقتًا كثيراً. سنرحل الآن، وما أردته منك ستفعله عندما أبعث لك عابدين برسالة أخبرك فيها بالتنفيذ. وعندما نهض الجزار واقترب من الباب. لو حاولت أن تقوم بدور الأب أمام علي أو خربت الموضوع بغبائك، سأرسل لك رأس والدة تامر إنذارًا بقدومي لأحرمك من ميتتك الهادئة التي تتمناها.

رحل الجزار وعابدين وبقي العم رشاد جالسًا مكانه مسندًا رأسه على يديه لا يدري ماذا يفعل.

****

بعد الانتهاء من النزهة عادت دعاء مع صديقتها سماح إلى بيتها، بينما عاد الصديقان إلى الحارة متجهين إلى بيت العم رشاد، وفي الطريق قال تامر:

- اسمع! أنا لن آتي معك.

- لماذا؟

- سأذهب إلى المقهى، وأنت عندما تنتهي ستأتي وتجدني هناك.

- ولكن العم رشاد يريد أن يراك، وكل مرة عندما يطلب رؤيتك تتهرب منه!

- ألا ترى أنت مواعيده المتأخرة، لقد قاربنا على منتصف الليل.

إذا ذهبت إليه الآن وجلسنا معه نتسامر، من أين سأجد الوقت لأجلس عند أحلام وأغسل دماغي؟!

- (وعلى يبتسم) نحن الآن عاطلان، من الممكن أن نغسلها غدًا.

- ولمَ كل هذا العذاب؟!

واتخذ تامر طريقًا آخر ملوِّحًا بيديه:

- لا تتأخر يا صديقي؛ فأنا سأنتظرك هناك.

على ضوء القمر وليل الحارة الساهر أشعل علي سيجارة متخذًا طريقه إلى بيت العم رشاد.

أمام منزل الجزار وقفت سيارات الشرطة متراصَّة بعضها خلف بعض، ونزل من إحداها ضابط شرطة يدعى أنور، شاب في الثلاثين من عمره، شعره أسود خفيف، وعيناه سوداوان، وله شارب في وجهه الأبيض الذي تشكَّل بتقسيمات الغضب والوعيد.

دخل أنور إلى المخزن في بيت الجزار الذي كان جالسًا على مكتبه أمام ابنه عصام وعابدين وبعض الرجال.

- أهلًا بالباشا، ألم تستطع أن تخبرنا بقدومك حتى نستطيع أن نرحب الترحيب اللائق بسعادتك. (وهو يقوم من على كرسيه ليقف أمام الضابط).

- سعادتي سوف يلقى كل الترحيب عندما يضعك أنت وهؤلاء الأشرار خلف الأسوار.

- (وهو يبتسم) خلف الأسوار! نحن هنا في خلف الأسوار، أم أنا مخطئ؟

ابتسم أنور باستهزاء، ثم أخذ يتجول في المكان والباقون ساكنون في أماكنهم تلاحقه عيونهم.

- شركة الجوهرة للصرافة سُرقت أمس، وعندما ذهبنا إلى أرض الموقع لا رجال الضبط ولا الفحص والأدلة وغيرهم استطاعوا أن يعثروا على بصمة واحدة ولا خدش بسيط حتى في الخزنة الكبيرة. في الأقصر هنا

براعة كهذه وفن مدروس! قال زملائي إنه الرجل الخفي، ولإتقانه فحلال عليه المال الذي سرقه، أما أنا فعندما علمت لم أنتظر دقيقة وعرفت أن السرقة لن تخرج عن عائلتين: إما الجزار وإما المرغني، وهذا الأخير كان هو ورجاله في القسم عندي للمشاجرات والمشاغبات التي افتعلوها مؤخرًا، إذا لم يتبقَّ أمامي إلا الجزار ورجاله. ما رأيك أنت يا عابدين؟

رد عليه عابدين في وداعة.

- في الحقيقة أنا لا أفهم من هذا الكلام شيئًا يا أنور باشا، ولكن من الواضح أن هناك سرقة وتتهمنا فيها، أليس كذلك سيادتك؟

- هل تعلم يا عابدين، أنا دائمًا يعجبني الرجل الصلب مثلك.

- شكرًا يا باشا، هذه شهادة أعتز بها.

هنا تدخَّل الجزار.

- أنور باشا، من الأفضل لك ولنا أن تخبرني لماذا أنت هنا ولماذا كل هؤلاء في بيتي؟ من الواضح أنك تعلم القانون جيدًا وتعلم أنك غير مسموح لك بدخول منزلي إلا إذا كنتُ في حالة تلبّس.

وأنت وجدتني جالسًا مع بعض رجالي نتناقش في عملنا ولم تجد شيئًا، فمن الأفضل إن لم يكن عندك ما تقوله فارحل وكفى تلويثًا لسمعتي في الحارة. أم أنا مخطئ؟

- طبعًا أنت الآن خبرة في عالم الإجرام. أنا أراهن أنك تعرف القانون أفضل مني. (صمت قليلًا، وفي جمود وغضب) أين علي وتامر؟ أنا لا أرى سوى عصام، هل هم في مهمة وأنتم على حافة الانتظار.

- انتظار ماذا؟ لقد نسيت أن أخبرك أننا تركنا الإجرام منذ فترة، وهدانا الله وبدأنا مشروعنا الصغير ببيع الآثار المقلَّدة والفخَّار وما شابه للسياح في منطقة الأقصر، ومن المحتمل أن تجد الأولاد الطيبين داخلين علينا الآن وفي يدهم بعض عينات من البضاعة. أذا أردت أن تنتظر وترى بنفسك، فأهلًا ومرحبًا؛ حتى تبارك لنا العمل الجديد.

هنا ضحك أنور بصوت عالٍ.

- لسان الضحايا! آه، حسنًا يا جزار.

سأباركهم ولكن في القسم. (نظر إلى الجزار في غضب ثم أدار وجهه عائدًا إلى سيارته صائحًا) ضعوا عصام في السيارة ولينتظر اثنان هنا، وعندما يعود علي وتامر أحضراهم إلى مكتبي.

خرج الجميع وفي يدهم عصام صامتًا مكبلًا بالقيود أمام الجزار الذي كان واقفًا واضعًا يده على عكازه مبتسمًا.

وجد علي العم رشاد جالسًا على الأريكة في حديقة منزله فاقترب منه وجلس بجواره.

والعم رشاد ينظر للسماء.

- وأنت صغير كنت أجلس معك في هذا الوقت نظل نجمع من النجوم أشكالًا، حينها عندما كنت أنظر إلى وجهك أجده مضاء مثل القمر من سعادتك، (وهو يبتسم) كنت تغضب إذا جمعت أشكالًا أكثر منك.

- أذكر ذلك اليوم الذي هزمتني فيه وجعلتك تنتظر للصباح حتى توارت منا النجوم مللًا على أمل أن أهزمك ولكني لم أستطع.

- نعم أذكر ذلك؛ فأنا لم أعد أمتلك إلا الذكريات، (وهو ينظر لعلي) أين تامر؟

ابتسم علي ورفع حاجبيه ولم يرد.

- أنا أرسلت في طلبكما أنتما الاثنين، أليس كذلك؟

- نعم، ولكن أنت تعرفه جيدًا.

- نعم، والآن عندي مهمة لكما وكنت أريده أن يكون حاضرًا معك.

- مهمة ماذا؟

obeikandl.com

- بسيطة، عقد من الألماس.

- وهذا العقد في خزنة؟

- لا، ليس في خزنة، ولكنه سيكون في سيارة ونريدك أن تحضره أنت وتامر.

وعلي ينظر باستغراب إلى العم رشاد.

- ماذا؟ هل هي صعبة؟

- لا، لا أفكر في هذا، وإنما لماذا نحن؟ أنت معك صبيانك أولى منا، بجانب أنهم سيغضبون لو علموا بذلك.

- لا تقلق، الأولاد فرحوا بعد أن تركت العمل مع الجزار وطلبوا مني أن أكلفك بهذه المهمة؛ لأنها تحتاج لفن وتكتيك وستجدهم دائمًا خلفك إذا أردت منهم أي شيء. المهم أريدك أن تذهب للنوم الآن وتاتيني غدًا في التاسعة صباحًا أنت وتامر لأن هناك رجلًا هو صاحب المهمة سيخبركم بكل شيء. واضح؟

- غدًا صباحًا.

- نعم، لذلك أفضِّل أن ترحل حتى تستطيع أن تستيقظ باكرًا.

- حسنًا، أراك غدًا.

كان هناك ضجيج وضوضاء داخل المقهى الذي يجلس بـه تـامر، وكان المكان مزدحماً بالشباب؛ هناك من يشاهد التلفاز وهو يسـتمتع بمشـروبه ودخانـه، وآخـرون يسـتمعون للموسـيقى وهـم يلعبـون الدومينو والشطرنج، هذا في الوقت الذي وقف فيـه عـلي في منتصـف المقهى وعيناه تبحثـان في الأرجـاء عـن تـامر الـذي لمحـه وأشـار إليـه بيديه.

- أخيراً أتيت!

- أنت، هل انتهيت؟

- ماذا! تريد أن ترحل، وأنت لم تصل حتى؟!

- أنت تعرف أنني لا أحب هذا المكان.

- وهو أيضًا لا يحبك، استمتع يا صديقي.

(وهو يغازل إحدى النادلات)

- لماذا كنت تجلس بجوار أحلام؟

- كنا نتحدث فقط.

- علامَ كنت تتحدث؟

obeikandl.com

- لا شيء محددًا، أمور من هنا ومن هناك فقط عن الحياة العامة؛ فأنا لست ساذجًا لأخبرها عن أسرارنا.

- نعم أنت لست ساذجًا بل مغفل وأبله.

- ولما ذلك؟

- لأنها لا تريد أن تعرف شيئًا عن أسرارك؛ فهي لا تريد أن تؤذي نفسها؛

هي جُلُّ ما تريد أن تعرفه ماذا تفعل في حياتك العامة؛ حتى لا تشك بها أو تُضمِر لها الشر- أنت تعلم أنها عين الجزار هنا وأذن المرغني. وهي تجلس مع الجميع مثلك، وما تظنه تافهًا بالنسبة لك فهو غالٍ وثمين بالنسبة لها. هل تعلم أن مجرد جلوسك هنا فقط خطر عليك، وهذا ما كانت والدتك تحذرك منه.

- (وهو يلاطف صديقه) حسنًا يا علي، أعدك أنني لن أجلس معها مرة ثانية.

- هذا ما تقوله كل مرة.

- لتكن المرة الأخيرة التي أقول فيها ذلك، ولكن دعنا نجلس قليلًا ونستمتع بوقتنا.

- أنت تعرف أن هذه الضوضاء تزعجني، وأيضًا لا بد لنا أن نستيقظ غدًا باكرًا.

- لماذا؟

- لأن العم رشاد سيقابلنا برجل يريد أن نُتمَّ له عملية صغيرة.

- من هو؟

- كل ما أعلمه أننا سنعرف كل شيء غدًا في التاسعة صباحًا.

- حسنًا يا صديقي، دعنا نجلس فقط قليلًا لنشرب شيئًا وأهزمك في الشطرنج مثل كل مرة، ونذهب بعدها مباشرة إلى البيت.

- (باستهزاء) أنت! تهزمني؟!

- لنجلس ونرَ.

- حسنًا، دعنا نجلس هناك (وهو يشير إلى أحد الأركان الهادئة).

- ولكن هذا المكان يخص المرغني وأتباعه.

- نعم، أفضل مكان هنا، وأريد أن أجلس فيه.

- حسنًا لماذا ننتظر؟! إلى هناك.

obeikandl.com

جلس علي على أريكة مسترخيًا وجلس أمامه تامر بعد أن أشار إلى إحدى الفتيات التي تعمل بالمقهى.

- (وهي تكتب على ورقة صغيرة في يدها) ماذا ستطلبون يا تامر؟

- أنا أريد فنجانًا من القهوة ويكون سكره زيادة مثلك.

وابتسمت الفتاة وهي تدير وجهها لعلي.

- أنا أريد شايًا وطبقًا من اللب والفول السوداني بجواره إن وُجد.

- نعم يوجد.

وبينما تغادر الفتاة.

- لا تنسَي أن تُحضري معكِ رقعة الشطرنج!

- حسنًا أيها المزعج.

ثم نظر إلى علي متحمسًا.

- إذن ما هو نوع المهمة التي يريدنا فيها عم

رشاد في رأيك؟

- من المؤكد أنها سرقة، التفاصيل سنعرفها غدًا عندما يحضر هذا

obeikandl.com

الرجل صاحب العملية ونلتقي به.

- صباحًا؟

- نعم في التاسعة.

- ولكن أنا متعجب، ألن يجادلنا أحد من صبيان العم رشاد؟

- هم من طلبوا منه ذلك.

في هذا الوقت دخلت عليهم فتاة في الثلاثين من العمر ناصعة البياض شعرها ناعم مصبوغ بالأصفر ومسدول كأشعة الشمس، وعيناها واسعتان وحاجباها مرسومان بقلم حاد، وشفتاها حمراوان ممتلئتان، وترتدي الخواتم اللامعة في أصابعها والأساور المذهبة في ذراعها، واللبانة في فمها.

- (ما إن لمحها علي) تزدادين يومًا بعد يوم إثارة ودلالًا، لم يخطئ من سمَّاكِ أحلام! ما أجمل هذا الفستان!

ردت أحلام باستهزاء وهي تضع يدها على خصرها.

- أنا منبهرة أن الفستان أعجبك.

ابتسم علي ولم يرد.

obeikandl.com

- أريدك أن تترك هذا المكان الآن.

- أنا لم أسمع، ماذا قلتِ؟ أعيدي ثانيةً؛ فأنتِ تعرفين أني أعاني مشاكل في السمع مؤخراً.

- (بصوت عالٍ) هذا المكان يجلس فيه فقط المعلم المرغني وأتباعه وهو على وشك الحضور، وإذا أتى ورآك هنا فأنت تعلم ما الذي سيحدث لك.

- (ساخراً) اسمعي أيتها الجميلة ... سأسامحك لأنكِ صرختِ في وجهي، وسأتركك ترحلين بدون أن أعاقبك على ما تلفظتِ به، وسأظل جالساً هنا أنتظر سيدك لأرى ماذا سيفعل عندما يراني في هذا المكان الهادئ الجميل الذي بدأت أعشقه وإلى أن يأتي عودي الآن وأحضري ما طلبناه.

- (ببرود ووجه مشمئز) للأسف يا عمري، لن تجد في هذا المكان أحدًا يريد أن يخدم أو ينظر إلى هذا الوجه القبيح.

قبل أن تنهي أحلام كلامها انقض عليها علي بعد أن أطاح بالطاولة الزجاجية التي كانت أمامه وأمسكها من رقبتها وعاد بها إلى الوراء إلى أن ارتطمت بالحائط، فرفعها بقبضته من على الأرض حتى كادت تموت خنقًا، واقترب منها بعد أن أخرج مطواة من جيبه

وعيناها متسعة جدًّا وحدقتها تتابع النصل وهو على وجهها وجميع من بالمقهى اقتربوا من علي ولكن ليس قريبًا جدًّا؛ لأن الجميع بها يعرفونه ويحذّرونه.

- أنتِ تعرفينني جيدًا، أستطيع الآن أن أعيد رسم هذا الوجه الجميل.

وبعد أن اقترب تامر من علي ببطء ووضع يده برفق على كتفه.

- اتركها يا علي؛ فهذه فتاة ليس لها ثمن، وستضيع بسبب تهورك هذا.

من المحتمل أن الجزار هو من أوحى لها أن تضايقك؛ فهذه أول مرة تفعل فيها شيئًا كهذا.

وأحلام تُحرك رقبتها ببطء وهي تتوسل إليه بعينيها.

- الآن ظهرت لغة العبيد؟ ولكن لن أتركك قبل أن ...

وهو يقرب النصل من عينيها قام تامر بقوة وأمسك يد علي ثم بكل عزمه انقضَّ على اليد التي بها سلاحه الأبيض وعاد به إلى الوراء مندفعًا، ووقعت أحلام على الأرض وهي تحاول بالكاد أن تتنفس.

obeikandl.com

وبعد أن وقع الصديقان على الأرض ظل تامر يطلب من علي أن يترك سلاحه، ولكن لم يجد بدًّا إلى أن عضَّ عليّا في يده وأخذها منه، ثم قام بعيدًا عنه وأوقف أحلام ثم دفعها للخارج طالبًا منها أن تختبئ.

وقف علي منهكًا ووقف أمامه تامر مشيراً بيديه لصديقه ليهدأ.

- تستطيع أن تقتلها الآن، ولكن ما الذي سنستفيده بعد ذلك؟! هي لا تساوي شيئًا يا صديقي، غلطتي أنني لم أسمع كلامك وعدنا إلى البيت. الآن سنخرج من هنا ولكن لن نتشاجر مع أحد، لو كان لي محبة عندك دعنا نخرج بسلام، أرجوك يا صديقي.

اقترب منه ببطء وخرجا بعد أن عاد الجميع يندمجون في شئونهم وكأنه لم يحدث شيء.

خرج علي ليس من مقهى أحلام فقط، بل من الحارة كلها وتامر يقتفي أثره.

- إلى أين أنت ذاهب الآن يا علي؟

- عد أنت إلى البيت، أنا سأتمشى على الكورنيش قليلًا ثم سألحق بك.

- في هذا الوقت؟!

- نعم.

تركه علي ثم انطلق شاردًا وسط المدينة الهادئة الخالية من السكان اللامعة بأضوائها إلى أن وصل إلى الكورنيش الذي يحوط الأقصر مزينا نيلها الأخضر اللون من كثرة الأشجار والأزهار على ضفتيه، وهناك جلس على السور الصغير ووجهه قبالة الماء يفكر، ولم تمضِ دقائق حتى جلس تامر بجواره ببطء صامتًا.

وبعد قليل.

- (بعد أن تنفس تامر شهيقًا بعمق) هواء لذيذ، أليس كذلك؟

نظر إلى علي الذي كان يشعل سيجارة.

وكأن الطبيعة تعاقب هؤلاء البشر: عندما يستيقظون تجدهم يتنفسون عوادم السيارات والمخلفات، وفي الليل وعندما ينامون نسيم وعبير! والنيل في الصباح تجده مليئًا بالقمامة، وفي الليل، انظر أمامك، نظيف ويلمع، بل أمواجه يحتضن بعضها بعضًا، إنها معادلة صعبة. هذه اللوحة المدهشة ذكَّرتني بأيام الصغر عندما كنا نذهب مع والدي أنا وأنت، كنا نلعب بالطائرات الورقية التي كان يصنعها لنا بنفسه، لقد كان عبقريًّا.

نظر علي باستهزاء ولم يعقِّب في الوقت الذي نظر إليه تامر وتجاهله.

- المهم أنك في ذلك الوقت كنت سعيدًا جدًّا، وعندما كان والدي يعطيك الحبل لتمسك الطائرة عندما كانت تحلِّق في الهواء كنت تصرخ من الفرح، وفي الوقت الذي يترك فيه الحبل في يديك كانت

تسحبك وتجعل أبي يلاحقك قبل أن ترتفع في الهواء وأنت سعيد، سعيد جدًّا وبالرغم من أنه كان يحذرك بوجه قاسٍ من أن تدع الطائرة تسحبك، وتحاول أن تقوى على إمساكها، كنت تستمتع ولا تستمع، أما أنا فكنت أهابه دائمًا وكنت أحاول أن أمسك الحبل بقوة ليس من أجل أن ينعتني بالقوي ولكن حتى لا أفاجأ بصفعة لا أدري من أين أتت،وبالرغم من أن يديّ كانتا تتورمان وتلتهبان لأن يدي ضعيفة والحبل حادٌّ، ولكن مهما أخبرته كان لا يبالي، كانت متعة بالنسبة لك وعذابًابالنسبة لي، هل تعرف لماذا دائمًا أتذكَّر هذه بالذات؟

نظر له علي بعد أن انبسط وجهه إلى حدٍّ ما وبدت ابتسامة خفيفة.

- أتذكَّرها لأني دائمًا أراك تتعامل مع الأشياء بطبيعتها وترضى بها مهما كانت، مهما كانت حتى ولو كانت ندبة في وجهك. صحيح؟

نظر علي إلى تامر في ابتهاج (مبتسمًا) :كنت أفكر للحظة أن أجرحك بالسكين عندما كانت في يدي.

- حمدًا لله أنك لم تفعل؛ لأنك لو كنت فعلت ذلك لكنت الآن في قبرك بجوار سكِّينك نضع لكما الورد.

وبينما علي يضحك كان هناك من ينادي على الاثنين من الجانب المقابل.

- يا شباب، هل لكم بدقيقة هنا؟

التفت الاثنان ليجدوا فتاة ترفع يدها طالبة المساعدة تقف على الرصيف الجانبي من الناحية المقابلة، فتساءل علي.

- هل هذه فتاة؟

عقَّب تامر ساخرًا.

- فريسة تسعى وراء صيادها.

وبعد أن تقدَّم الاثنان ناحية الفتاة، ووقف أمامها - فتاة معتدلة القوام، سمراء اللون، واسعة العينين، سوداء الشعر - وبكل رجاء:

- أنا آسفة، أنا أعمل في هذا المحل، (وهي تشير بإصبعها إلى أحد المحلات) وكنت أريد من أحدكم أن يُنزل لي باب الجراج؛ لأني لا أجد عصاه وطولي لا يساعدني.

تقدَّم علي وسحب الباب لأسفل وأغلقه بالقفل معلقًا وهو ينظر لتامر.

- انظر إلى هذا القفل، لو ركلته بقدمي لانكسر.

- أيضًا هذا محل ملابس وليس بنكًا.

obeikandl.com

- مهما يكن.

والفتاة تتابع الحوار الذي يدور بين الاثنين.

- (وهي تنظر لعلي باستغراب) إذا كنت واثقًا من أن القفل ضعيف هكذا فأنت إما أن تكون بائعًا لها أو ...

- لصًّا. أتقصدين ذلك؟

- لا، لا أقصد ذلك، أنا آسفة، ولكن كيف عرفت؟

- من الممكن أن تقولي إنها خبرة توارثتها.

- ولكن ما الذي جعلك تغلقين في هذا الوقت مع العلم أنه لم يعد أحد يسير في الشوارع الآن؟

- فعلًا، الوقت تأخر، ولكن اليوم كنا نُفرغ بضاعة جديدة، وصاحبة المحل الذي أعمل فيه أصرت أن أنتظر؛ خصوصًا بعد أن غادر أصدقائي ولم يبقَ أحد يتسلم البضاعة إلا أنا، ولم أكن أستطيع الرفض؛ لأن اليوم يوم قبض.

هنا قال تامر ....

- ليست من شيمنا، ولكن إذا أردتِ أن نوصلك إلى البيت ...

obeikandl.com

وقبل أن يُكمل كلامه قاطعته قلقة:

- لا، شكرًا، البيت ليس بعيدًا من هنا. شكرًا لسؤالك وشكرًا أنت أيضًا لمساعدتك (وهي تنظر لعلي). ثم انصرفت وسلكت أحد الشوارع الجانبية الواسعة الطويلة.

قبالة الشارع الطويل الواسع الذي سلكته الفتاة وقف تامر وعلي الذي قال:

- لقد تأخر الوقت جدًّا، أخبرني كيف سنستيقظ غدًا.

- منذ متى ونحن ننام؟! سنظل مستيقظين إلى أن نعود من بيت عم رشاد وننام كما يحلو لنا.

وهو ينظر لعلي الذي بدا وجهه متذمرًا.

- ماذا؟ كوب من القهوة مع سيجارة وسنكون في عالم آخر.

وهو ينظر لعلي الذي بدت الدهشة على وجهه متجاهلًا تامرًا، ينظر خلال الشارع الذي كانت تسير فيه الفتاة ... وبعد أن أدار تامر وجهه لينظر خلال الشارع:

- ماذا؟ أنا لا أرى شيئًا.

obeikandl.com

- أنت لا ترى شيئًا لأن وجهك كان إلي أما أنا فكنت أقف ووجهي للشارع ولمحت من أحد الشوارع الجانبية بعض الشبان يلاحقون الفتاة إلى أن دخلت في شارع جانبي آخر فدخلوا وراءها، أنا أشعر بالقلق.

- ولمَ القلق؟! هنا المدينة، الكورنيش أمامك، ومحلات قبالها وشوارع كثيرة طولية وعرضية، (وبينما هو يكمل حديثه، جرى علي في أثر الفتاة).

- هذه ليست المرة الأولى، من الواضح أن هذا اليوم لن يمر إلا وفيه جناية (وانطلق هو الآخر).

في أحد الأزقة المغلقة وقفت الفتاة خائفة تعود إلى الوراء ببطء وأمامها ثلاثة من الشبان الثملين يحوطونها ويتقدمون إليها ببطء.

- ماذا تريدون؟ تريدون مالًا (وهي تعطيهم حقيبتها) خذوها؛ يوجد بها مال كثير.

مدَّ أحدهم يده وأخذ الحقيبة، بينما أحد الآخرين:
- أما أنا فلا أريد مالًا، وإنما أريد شيئًا آخر. (وهو يقترب منها مثل الذئب لفريسته)

- (وهي تنظر لعينيه مرتعدة) اسمع، هذا لا يمكن أن يحدث.

صدِّقني، أنا مريضة وأخاف أن أوذيك.

- (في سخرية) تؤذيني، نعم أريد ذلك؛ فأنا أحب الأذى، أعشقه.

- حسنًا ... انظر هنا.

في الوقت الذي أدار الشاب وجهه إلى مصدر الصوت كانت هناك قبضة بعنف كادت أن تهشم فك الأول، ثم التفت إلى الآخر ليركله في بطنه بقوة وبيده على رأسه، إلى أن جاء الثالث من الخلف ليمسك عليّا الذي جاء لينقذ الفتاة.

الثالث كتَّف عليّا والثاني حاول ضربه، ولكن تامرًا كان أسرع في الوصول فانقضَّ عليه ولم يمضِ كثير وكان الثلاثة يهربون متكئين على بعضهم.

وقفت الفتاة أمام علي متنهدة مطمئنة وهو يمد يده ليعطيها حقيبتها.

- هذه حقيبتك، حاولي أن تكوني أكثر حذرًا المرة القادمة.

ردت الفتاة بصوت متقطع عالِ.

- وكيف أحذر؟ أخبرني أنت، هل أنا أعلم أن هناك كلابًا ضالة غير التي نعرفها تترصد بي.

وعلي ينظر لتامر مندهشًا من أسلوب الفتاة ... تدخَّل تامر قائلًا.

- ألم نطلب منك يا سيدتي الجميلة أن نعود بك إلى البيت؟! مع العلم أنني أخبرتك أن هذا ليس من شيمنا؛ مما يدل على أنكِ حالة استثنائية.

- بصراحة، لقد كنت قلقة حيالكم، ولا سيما أنت (وهي تشير إلى علي الذي هاج غضبه وصرخ في الفتاة وهو مقضب الحاجبين).

- قلقة مني! أهذا بسبب وجهي (ثم نظر إلى تامر وهو يلوِّح في الهواء بيديه) هل تعلمين أنك تجعلينني أندم عما فعلته معك منذ قليل.

- (وتامر يلاحقه باستهزاء) فعلًا يحق لك أن تندم، أنا أرى أنه يجب أن تذهب وتأتي لها بالشبان حتى تتعلم كيف تخاطب الآخرين، (وهو يرفع حاجبيه) أو تتركها لي فأنا سأتولى تربيتها من جديد بطريقتي!

ردت الفتاة متجاهلة تامرًا وهي تنظر إلى علي بكل براءة.
- أنت لم تدعني أكمل

حديثي، كنت فعلًا قلقة منك أنت بالذات؛ لأني وجدتك من هذا النوع الغامض، أنت تعرفه؛ ضحكة صغيرة وضيق في العينين.

وطريقتك في الكلام، هذا ما جعلني أقلق فقط وليس وجهك. وماذا في وجهك؟! هل تتكلم عن هذه الندبة؟ ماذا بها؟ هل لأن بك ندبة هذا

يجعلك قبيحًا؟! والله لم أقصد ما ظننته أنت. والدي أيضًا عنده ندبة في رقبته ومع ذلك لا يضعها في حساباته، وهو لا يتعامل مع الآخرين مثلك، بل صنع منها قصة بطولية يحكيها لأي شخص يسأل عنها. وليكن في علمك: أنت طويل وصاحب قوام متناسق وأفضل من صديقك، (وتامر متفاجئ) والندبة التي في وجهك وجودها في مخيلتك أكثر من وجودها في وجهك. (وهي تتحرك ببطء أمامه) وقبل أن أغادر أحب أن أشكرك على إنقاذك لي. (وبعد أن تحركت بضع خطوات أدارت رأسها وتطاير شعرها وهي تقول لعلي): هل تعلم أنك وسيم إلى حد ما (وابتسمت وغادرت).

لوّح تامر بيديه متسائلًا.

- وأين أنا!

ظل علي وتامر يتبادلان نظرات الدهشة إلى أن تحرك علي من مكانه ليلحق بالفتاة التي كانت قد سلكت الشارع الرئيسي لتعود إلى بيتها.

- (مسرعًا) يا ...
وقبل بضع خطوات منها:

- هل قلتِ منذ قليل إني غامض وأثير الشك لمن حولي؟

- (بصوت هادئ) نعم.

- (مبتسمًا) ولكنك قلتِ أيضًا إنني وسيم. صحيح؟

- (بابتسامة هادئة) إلى حد ما.

- لا يهم، المهم أنكِ قلتِ إني وسيم فقط.

- وهل تظن أني من الممكن أن أغازلك؟!

- في الحقيقة لا أريد، ولكن هذا شجعني لأسألك إن كنتِ تودين أن أوصلك إلى البيت، ما رأيك؟

- (بعد أن تلفتت يمينًا ويسارًا) اممم ... حسنًا، ولكن ستلتزم الأدب معي طول الطريق! اتفقنا.

بدآ في السير جنبًا إلى جنب.

- من المفترض أني من أنقذك منذ قليل. بالمناسبة ما هو اسمك؟

- تسألني عن اسمي ونحن لم نتحرك حتى.

- حسنًا، متى تريدين مني أن أسألك عن اسمك؟

- (وهي تبتسم) اسمي سارة.

- اممم!

obeikandi.com

- ما به الاسم؟

- جميل، ولكن ليس في جمال صاحبه.

بينما علت وجهها هذه الابتسامة الهادئة، من الخلف نادى تـامر عـلى الاثنين وعلى مقربة:

- (صارخًا) هل كنت ستمشى معها وتتركني منتظرك هناك؟!

- (وهو يغمز لصديقه) وهل تريدني أن أترك سارة تعود إلى البيت بمفردها في هذا الوقت؟! ألم ترَ ما حدث منذ قليل؟

- سارة! وهل كنت ستتركني لتوصلها إلى البيت؟! ومنذ متى ذلك؟

- (وهو ينظر إلى سارة) منذ أن أصبحت رجلًا وسيمًا.

- (وتامر ينظر إلى الفتاة التي كانت بدورها تبتسم)

وهل منزلك بعيد من هنا يا آنستي؟

- لا، ليس بعيدًا، عشر دقائق فقط سيراً على الأقدام.

- حسنًا.

opelkandil.com

تقدَّم تامر وهو ينظر إلى الأرض ليسير بجوارهما، وهنا ربَّت علي على كتف صديقه قائلًا لسارة:

- هذا هو صديقي تامر.

مر الوقت سريعًا ولم يشعر به علي إلا عندما وقفت سارة مبتسمة أمام علي:

- حسنًا، يبدو أننا سنفترق هنا.

- (وهو ينظر يمينًا ويسارًا) هنا! لماذا؟

- (وهي تشير إلى أحد البيوت) لأن هذا بيتي، (مبتسمة) وبالمناسبة لقد استمتعت بالحديث معك اليوم. إلى أن أراك في وقت آخر، أحب أن أشكرك على ما فعلته معي اليوم، واعلم أني سأظل مدينة لك طوال حياتي. (وهي تنظر لتامر) وأنت أيضًا يا تامر، شكرًا لك.

رد تامر بهدوء مبتسمًا:
- لا شكر على واجب.

وبعد أن ابتعدت قليلًا نادى عليها علي فأدارت رأسها بانسيابية لتنظر إليه.

- سارة، هل تؤمنين بالقدر؟

obeikandl.com

- بالطبع، لماذا؟

- وماذا ستفعلين لو أتى إليك في يوم من الأيام ودق على بابك؟

- (مبتسمة) بالتأكيد سأرحب به، ولكني أريده قدرًا مميزًا، هل تسمع، (وهي ترحل) وداااااعًا.

قال علي محدِّثًا نفسه بصوت مسموع:

- كل ما أعرفه أني سأكون قدرك الذي سيدق بابك.

أما "مميزًا" فهذا لا أعرفه، وداعًا يا قدري المميز.

بينما تامر واقف يعض في أصابعه.

- حسنًا يا روميو، هل سننام هنا، أو ماذا؟

- أتمنى ذلك، ولكن لنعُد إلى البيت.

****

لم يبقَ على موعد العم رشاد إلا ساعات قليلة فاختار الصديقان أن يجلسا أمام التلفاز يشاهدانه، وأعدَّ علي العشاء والقهوة، وظلَّا يتحادثان إلى أن ناما مكانهما من التعب والإرهاق، ولم يشعرا إلا

obeikandl.com

ووالدة تامر توقظهما لينامـا بالـداخل عـلى سريـريهما بعـد أن رأتهـما منكبّين على الأريكة في حالـة يـرثى لهـا ولم يبـقَ مسـتيقظًا إلا التلفـاز الذي قامت بإطفائه.

وبعد صياح مرات ومرات:

- استيقظا أيها القتيلان، لو كنت أنادي على أموات لكانوا لبّوا ندائي.

(وهــي تهــز الاثنــين بعنــف) لم أرَ في حيــاتي إنســانًا ينــام جالسًــا مـثلكما. اسـتيقظ يـا تـامر، اسـتيقظ يـا عـلي، اذهبـا وموتـا عـلى سريريكما، أريد أن أنظّف هذه الفوضى.

وببطء فتح تـامر عينيـه لـيرى والدتـه تصرـخ وتلـوِّح بيـديها وهـو لا يسمع شيئًا، وفجأة انتفض من مكانه.

- كم الساعة الآن؟

- (وهي ترجع للخلف منزعجة) ما بك أيها المعتوه! هل لدغك ثعبان؟

- (وهو يحاول أن يسـتجمع طاقتـه، ينظـر للحـائط) آه، السـاعة الآن العاشرة، لقد تأخرنا.

تثاءب علي ببطء وهو يضع يده على وجهه.

- ماذا؟

- انظر، إنها العاشرة. سأدخل لأغسل وجهي، وأنت استيقظ واتبعني حتى لا نتأخر أكثر من ذلك.

- (وعلامات النوم ما زالت بادية على وجهه) وهل تظن أنهم سينتظروننا حتى الآن؟

- (وهو يتجاهله ملوِّحًا بيديه) أيقظيه يا أمي، يتكلم وهو نائم.

- (وهي تلاحق تامرًا الذي دخل الحمام ليغسل وجهه) من هم الذين من أجلهم أنت مستيقظ منزعجًا هكذا؟

- شغل، شغل يا أمي، اتركيني الآن وأيقظي هذا الكسلان، ومنالأولى أن تُعدِّي لنا شيئًا خفيفًا نأكله في طريقنا.

انتهى وخلفه علي، وأخذ كلٌّ منهما ساندوتشًا في يده ونزلا إلى بيت العم رشاد، الذي كان يجلس مع رجل قصير نحيف يرتدى بدلة سوداء ويجلس على الطاولة ويضع يده عليها، وخلفه كان يقف اثنان من رجال الحراسة الأقوياء، غير من كان ينتظره بالخارج بجوار سيارته الفخمة.

دخل علي ببطء يتبعه تامر، وجلس علي على الطاولة مع الرجل النحيف والعم رشاد، بينما حبّذ تامر الوقوف في أحد الأركان بجوار النافذة ... وافتتح علي الحديث بهدوء.

- أنا آسف على التأخير، ولكن أولًا صباح الخير.

- (بعد أن أسند الرجل النحيف ظهره إلى الوراء)

إذا كان الاتفاق الساعة التاسعة وأتيت متأخرًا، فماذا ستفعل إذا علمت أن العملية ستكون في السابعة أو قبل ذلك؟ (ثم تقدَّم إليه باستهزاء) ألم تشغِّل منبهك بالأمس؟ وهل هناك لص اليوم يقول صباح الخير، ماذا، لص مودرن!

وضحك الرجل النحيف بملء فمه، وظل ينظر إلى العم رشاد الذي ضحك هو الآخر، ثم نظر إلى رجاله الذين والوه أيضًا في الضحك، فضحك علي وتامر أيضًا، واقترب منه علي وهو يضحك.

- فعلًا أنا أحتاج إلى منبه، فاتتني هذه، ولم أسمع طوال حياتي فعلًا عن لص يقول صباح الخير، ولكن ماذا أفعل عندما أدخل على لصوص مثلي أيضًا ولكن ذوي مستوًى عالٍ!

- (والرجل النحيف ينظر لرجاله) لا هذا سر (ثم عاد يضحك).

وفجأة وبدون سابق إنذار وبوجه صارم أخرج علي مطواه بلمح البصر ووضع النصل على رقبة الرجل النحيف الذي رفع رأسه وبالكاد استطاع أن يبلع ريقه، وفي نفس اللحظة أخرج الحراس مسدساتهم يصوبونها ناحية علي مهددين إياه.

- بهدوء يا شباب، أنا كنت ألقي تحية الصباح فقط. (وهـو ينظـر إلى الرجل النحيف التي كانت عيناه تتبع النصل).

رفع علي مطواة وأعادها برفق إلى جيبه وهو ينظر إلى تـامر يتبـادلان الابتسامة الهادئة، بينما اعتدل الرجل النحيف في جلسته وعنـدما أراد أن يبدأ الحديث استأذن العم رشاد ليُعدَّ لهم الشاي.

- لنتكلم في العمل إذن.

- كما تشاء.

- أنا اسمي مختار عز، وكل ما تريدون معرفته عني هو لا شيء، أنـت علي وهذا تـامر (وهـو يشـير إليـه)، عنـدي عمليـة خفيفـة وسريعـة، توصلنا إلى العم رشاد الذي أخبرنا بدوره أنه لا يصلح لها إلا أنتما هنـا تدخَّل تامر قائلًا.

- لتطلعنا أولًا.

فأجاب مختار باهتمام.
- متحف الأقصر سوف ينقل آثارًا ومجوهرات في شـاحنة إلى العاصـمة بعد يومين من الآن، والمفترض أنها سـتتحرك في الثامنـة صـباحًا، هـذا يعني أن ما حدث اليوم من المستحيل حدوثه في يوم العملية.

- مؤكد، لقد كان الأمس مزدحمًا فقط، (وبينما علي يتكلم قاطعه مختار)

- مهما يكن، الشاحنة سيكون بها آثار ومجوهرات وذهب كما ذكرت، منها ما سيستقر في القاهرة ومنها ما سيغادر البلاد ليجوب العالم، كل ما يلزمنا في هذه الشاحنة هو عقد، وسيكون الوحيد من نوعه في الشاحنة، وهو مرصع بالماس الأسود ويحوى أشكالًا للفراعنة القدامى. خلاصة القول إنه تحفة ليس لها مثيل، يقال إنه من عصر نفرتيتي أو حتشبسوت، لا يهمني، كل ما يهمني أن أتسلَّم منكم هذا العقد فور سرقته في مكان متفق عليه بيننا لأسلمه لمن أعمل عندهم، وأنا سأتكفل بكل ما يلزمكم لتتموا المهمة بنجاح.

صمت علي ونظر إلى تامر الذي بدوره قال:

- كيف ستتكفلون بما نحتاجه؟

- سلاح، معدات، سيارات، كل ما ترونه يلزم لنجاحها، لا تقلقوا حياله.

- لهذه الدرجة هذا العقد ثمين بالنسبة لكم!

- لا تخرج عما أنت مكلف به.

- حسنًا، هل ستخرج الشاحنة بمفردها؟

- بالتأكيد لا، سيكون معها سيارة أخرى جيب من الحراسة

الخاصة.

- خاصة!

- نعم على الأقل سيكون ثلاثة من الرجال مدربين تدريبًا عاليًا، لا تفكر حتى أن تشتبك معهم، لأنه لا مخرج معهم؛ إنهم صُممُوا بطريق الـ no way.

- لا تقلق، ألا يوجد شيء مميز تريد أن تخبرني به، مثل طريقها، وتصميم الشاحنة، وما بداخلها، وبالأخص الخزنة، هيا أعطني ما في جعبتك.

- حسنًا، السائق ومندوب المتحف المسئول عن الشحن والتفريغ فقط، والشاحنة من الطراز الحديث، وهي عبارة عن خزنة متحركة؛ لذلك لجأنا لك، واعلم أنه بدون الرقم السري للخزنة لن يخترقها سوى rbg، ونحن طبعًا نريد ما بداخلها سليمًا وبحالته.

- أنا أيضًا لا أحب العنف.

- أما بالنسبة إلى طريقها فهي ستجتاز المدينة وتخرج إلى الطريق الصحراوي، وبعد قليل من دخولها هذا الطريق ستكون هناك مروحية في انتظارها ستخرج من قاعدة من الصحراء.

نظر علي إلى تامر مرة ثانية وهو يهز رأسه له مفكراً.

- أعتقد أننا لن نستطيع القيام بها نحن الاثنين فقط.

تدخَّل العم رشاد في الحديث وهو يضع الشاي على الطاولة ...

- رجالي في خدمتكم. ليس عليكم إلا أن تختاروا فقط.

- حسنًا، من الأفضل أن نجد سمير وفريد متاحين لنا الآن.

- اعتبرهم كذلك.

ثم وجه علي حديثه لمختار قائلًا.

- ستعود الآن إلى حيث أتيت، وسيأتي معك تامر، وستعطيه شاحنة، لا يهمني قوتها، يهمني فقط سرعتها، وثلاث دراجات نارية تضعهم في الشاحنة، وتعطيها لتامر، أما الباقي فاتركه لنا.

- هل من الممكن أن تطلعني على خطتك؟

- لا تتدخل فيما أنت لست مكلفًا به (وابتسم ابتسامة هادئة وهو ينظر إلى تامر) سنفعلها على طريقتنا، أليس كذلك؟

- بالتأكيد.

obeikandl.com

قام مختار عز من مكانه وهو يرتب هندامه ثم نظر إلى علي.

- ما تريده سيكون عندك بعد ساعات قليلة، ولكن هل رتبت لميعاد تسليم العقد لنا؟

- سيخبرك العم رشاد غدًا، لا تقلق.

وقبل أن يخرج هو وتامر مغادرين ... توقف لبرهة مبتسمًا.

- الآن أنا غير قلق لأنك يا علي ستقوم بهذه المهمة.

وداعًا وبالتوفيق.

بعد أن خرج الجميع بقي علي والعم رشاد يتحادثان.

- إذا أتى سمير وفريد تخبرهم بما حدث.

- أنت لم تتكلم عن المال.

رد عليه علي مبتسمًا.

- وأنت ماذا تفعل؟ هذه ليست شئوني.

- ليكن في علمك فقط أني تكلمت على مائة وخمسين ألف جنيه، ستأخذها عندما تسلمه العقد.

obeikandl.com

- حسنًا، سأعود الآن إلى البيت لأنام حتى أستطيع التفكير عندما أستيقظ؛ لأنه من الواضح سيكون يومًا كله مُخاطرة.

****

حالَما عاد علي إلى البيت فوجئ بأحد الأشخاص يضع يده على كتفه، وأتى الثاني، وطلبوا منه السير بجوارهم بهدوء.

- لو قلت لكم إن هذا ليس الوقت المناسب، هل ستصدقونني؟

رد عليه الأول بصوت خشن.

- صدقني أنا، سِرْ بهدوء حتى لا تضطرني لأستعمل معك الأسلوب المناسب.

- أخبرني أولًا ماذا تعمل؟ عسكري أم أمين شرطة؟

والثاني يدفعه من ظهره.
- وهل أصبحت تعمل في الشئون الإدارية مؤخراً؟

قبضوا على علي وأخذوه إلى سيارة الشرطة التي كانت تقف على مقربة من البيت وذهبوا به إلى قسم الشرطة ووضعوه أمام الضابط أنور الذي كان يتناول إفطاره.

والأمين يدفع عليّا من الخلف.

- (وهو ينظر للأمين) ألا ترى أن الباشا يتناول إفطاره؟! (وهو

ينظر لأنور) آسف على الإزعاج يا باشا.

وهو يلتفت ويريد أن يخرج أمسكه الأمين من ياقته وأوقفه أمام مكتب الضابط أنور.

- (وأنور يشير إلى الأمين ليخرج ثم وضع الفطور جانبًا وأمسك

بالمنديل) أين صديقك تامر؟

- هل كل هذه الفوضى لتسألني عن مكان تامر يا باشا؟

- (وهو يبتسم) خفة دمك تجعلك تحتل الصدارة في قلبي، ولكنك تعرف أنني أكثر إنسان يؤذى عندما يغضب فلا تحاول أن تغضبني.

- (متمتمًا) أنت أيضًا تؤذي، أين كنت بالأمس؟

- ماذا تقول؟

- أقول يا أنور باشا، إنه عندما يحدث شيء في هذه المدينة لا تجد أحدًا تجرّه غيري، وكأن المدينة لا يوجد بها أحد إلا أنا!

- ومن قال لك أن شيئًا حدث.

- أفهم من ذلك أن كل هذا لأفطر معك!

- حسنًا أيها الذكي، أين كنت الاثنين الماضي؟

- (وعلي يهرش رأسه) الاثنين الماضي، الاثنين، الماضي، آه.

من المحتمل أني كنت إما في الخارج في نزهة مع أختي وصديقتها، إنها فتاة كئيبة جدًّا لا تطاق لا تريد أن أحكى لك كيف كانت تأكل الفشار عندما كنا في السينما، إذا دققت النظر قليلًا تجدها ترفع الكيس كله على فمها، تخيل إذا كانت فتاة مثلها تفعل ذلك فما بالك بفتاة من الحارة عندنا، هل تأكل الكيس!

قاطعه أنور وهو يصرخ.
- أين كنت؟

- وإما في بيت العم رشاد أو المخزن أو البيت، لا أتذكر بالضبط. إن عقلي مشوش الآن.

وهو يحاول أن يجلس مدعيًا التعب وهو يضع يده على رأسه ... وقف أنور من مكانه غاضبًا.

- قف الآن باعتدال أيها الثعلب المكار.

وأخبرني أين كنت ليلة سرقة شركة الجوهرة للصرافة؟

وبعد أن وقف علي وعلى وجهه علامات التعجب.

- صرافة! وسرقة! سيادتك تقول إنني مشتبه به في سرقة المكان الذي قلته الآن؟ (وهو يلوح بيده) ألم أخبرك منذ فترة يا سيدي أنني تبت عن السرقة؟ والسرقة السابقة أيضًا اتهمتني ولكنك لم تجد أي دليل يثبت إدانتي، وتعود الآن لتعيد الكرّة معي! (وبوجه حزين) لماذا لا تتقبلون توبتي، لماذا أنتم مصرون على معاملتي على أنني أبو رجل مسلوخة، أو أن لي عينًا واحدة بخلاف باقي البشر! لماذا تحاولون أن تصنعوا مني مجرمًا.

أنا أريد أن أبدأ بداية جديدة وأنتم تمنعونني، أريد أن أصلح نفسي وأنتم تفسدونها، هل هذه عادة عندكم أن أذل وأن أهان في وطني، في بلدي، أين أنا وأين حقوقي؟ (ثم وضع يده على وجهه)

- هل تعرف أني تأثرت حقًّا، ولكن هل أنت تبكي؟

- (بصوت هادئ) مما أراه. إذا كنت لا أحس بالأمان هنا فأين سأراه؟

- أنا لا أعرف كيف أداوي جرحك هذا، لم أكن أعرف أننا قساة القلب

هكذا، ولكن أنت تعرف أنني لا أحب أن أظلم أحدًا، وما دمت أتيت هنا لتتوب فيجب عليّ ألا أحرمك من هذه الفرصة.

- شكرًا يا باشا، هل أرحل الآن، وأنا أعدك أنك لن تسمع اسمي في الأقصر كلها بعد الآن، سأكون في التاريخ بعد هذه الساعة، وهذا وعد مني.

- (وأنور يضغط على أحد الأزرار) في التاريخ! هذا سيكون أكثر قلقًا، الآن ولا يوجد أحد يستطيع أن يُثبت عليك شيئًا، ما بالك لو عدت إلى الماضي أخاف أن تمحو رمسيس أو تسرق حتى كيلوباترا.

في هذا الوقت نقر أحدهم على الباب فسمح أنور بالدخول لرجلين ضخمين ذوي وجه مرعب وصوت غليظ.

- تمام يافندم.

- هل تذكر هذا يا عرابي؟ (وعرابي ينظر لعلي الذي كان الضابط أنور يشير إليه).

- أليس هذا اللص الذي يستعمل روايات كاذبة دائمًا يافندم؟

- أعادها ثانية يا عرابي وبدأت أتضايق، خذه إنه لك.

وعلي ينظر بذعر إلى عرابي وهو يقترب منه هو وصديقه.

- عرابي ... أنا أحبك، (وهو يرجع للخلف) العنف سمة التخلف، ماذا أفعل حتى أتخلص من هذا الديناصور!

وبينما هما يحملانه ويخرجان به:

- لا توجد طريقه لتتخلص من عرابي، أراك لاحقًا.

****

بعد ساعات قليلة حضر إلى القسم حمدي الجزار بصحبة أحد المحامين الكبار ومعه عابدين وتامر، وبعد أن طلب المحامي من الحارس الذي يقف على باب الضابط أنور أن يدخل ليخبره بقدومهم وبعد السماح لهم بالدخول.

المحامي: أنا فهمي الأباصيري، حاضر مع موكلي الحاج حمدي الجزار.

كان أنور جالسًا على مكتبه وأجاب باستهزاء.

- الحاج؟!

- مساء الخير يا باشا.

وأنور ينظر للجزار.

- لم يكن له داعٍ أن توكِّل أكبر المحامين في الأقصر ما دمت تطمئن على أفعال أولادك.

- عصام موجود هنا منذ الأمس وعلي أخذته في الصباح، ولا أعلم

obeikandl.com

من سيكون القادم!

- (وهو يشير بإصبعه) أنت القادم.

فهمـــــي: من الواضح أن وجود الاثنين هنا غير مفيد، بل بالعكس من الممكن أن يضرك؛ مرّ على حبس عصام أربع وعشرون ساعة ولم يرسل للنيابة العامة، مع العلم أنه غير مسجَّل، ولا يوجد عندك ما يثبت أنه مشتبه بالقضية التي تسندها إليه، وهذا ينطبق على علي، فكل ما أطلبه منك الأولاد ليعودوا مع والدهم.

أنور رمق الجميع بنظراته الشرسة ولم يردَّ، وضغط على زر أمامه، وعندما أجابه أحد الحراس طلب منه أن يُحضر عليّا وعصامًا من الزنزانة.

- تفضل بالجلوس يا أستاذ فهمي، (وهو ينظر للجزار) أتُصرّ على أنك لست وراء هذه السرقة يا زعيم؟

- أنا لا أعلم لماذا أنت مصر على أننا السبب وراء كل سرقة تحدث في هذه المدينة، مع العلم أنه في كل مرة لا تستطيع أن تُثبت شيئًا مما تقوله.

- ورجُلك الذي قبضت عليه منذ شهرين متلبسًا في إحدى الشقق يحاول سرقتها.

- ألم يخبرك أنه لم يكن يعمل عندي وأنني لم أكن على علم بما يفعله؟

وأمرٌ آخر أني أخبرتك أمس أني تركت السرقة وبدأت في العمل الحر عسى أن يكرمني ربي في حياة جديدة.

- أمثالك من الممكن أن يغيروا جلودهم ولكن من المستحيل أن يغيروا مهنتهم. واعلم ما دمت حيّا تُرزق وأنا على هذا الكرسي فاعلم أني سأكون أول من يهدم إمبراطوريتك.

- (بتعجب) إمبراطورية!

- نعم، فأنت مثل القرش في البحر؛ كل الكائنات تهابه وتشعر أنه إمبراطور البحار، مثل الأسد ملك الغابة، ولكن بالنسبة لمن حولك إذا كنت قرشًا في المحيط أو ملكًا للغابة فاعلم أني صياد لا يرحم.

في هذه الأثناء وقف الحارس أمام الضابط أنور يتوسط عصام وعلي... وهنا قام الجزار ليعانق علي وعصام وبالأخص الأخير، ثم توجه لأنور سائلًا.

- هل نستطيع أن نرحل الآن؟

- نعم.

obeikandl.com

خرج الجميع إلا المحامي فهمي الذي طلب منه الضابط أنـور البقـاء لينهي معه بعض الأوراق بصفته وكيلًا عن حمدي الجزار.

وخارج القسم.

- عاملكم أنور بشكل سيء، أليس كذلك؟

رد عليه ابنه عصام قائلًا:

- لا أعرف لماذا لا نتخلص منه؟

- إذا تخلصت من أنور يـا بنـي تخلصـت منـي؛ هـذا قـانون للطبيعـة يُدعى التوازن بين الخير والشر. هل فهمت؟ أنور يلاحقنا لأنني كسرت شوكة والده عندما كنا شبابًا، وها هـو يـرث المهنـة عـن والـده مـثلما سترثها أنت وعلي وتامر.

توقَّف علي فجأة ثم قال للجزار.

- حسنًا يا زعيم، من المؤسف أننا سنفترق هنا.

- لماذا؟ السيارة على بعد خطـوات، أيـن سـتذهب بهـذا الشـكل؟ مـن الأولى أن تعود لترتِّب هندامك وبعد ذلك تـذهب حيـث تشـاء، أنـت حتى لم تشكرني على أني أخرجتك من القسم ولم أتركـك لأنـور ليتسـلى بك.

- (متمتمًا) أنت لم ترَ عرابي إذن.

- ماذا؟

- شكرًا يا زعيم، عد أنت إلى البيت وسأنهي أنا وتامر مشوارًا صغيرًا وسألحق بك، لا تقلق أنت.

- حسنًا كما تحب.

بعد أن انصرف علي وقف الجزار أمام سيارته، وقبل أن يفتح عابدين له الباب.

- (في حدَّة) هل هذا الولد مراقب؟

- أنت تهزأ بي هكذا يا زعيم. الاثنان مراقبان الآن وتحركاتهما بالخطوة نحن نعلمها، لا تقلق أنت.

- أحسنت، أحسنت يا عابدين، لم يتبقَّ لي من الرجال المخلصين غيرك، (وهو ينظر لعصام الذي كان على الجانب الآخر يفتح بابه) الآن نعود إلى البيت، هناك وليمة تنتظرك أيها المدلل.

- أتمنى ذلك، فمعدتي تعمل من الأمس على الفتات.

على الجانب الآخر، الصديقان وهما يسيران جنبًا إلى جنب.

- إلى أين سنذهب الآن؟

- إلى البيت بالطبع، فأنت لا تعرف ما حدث لي في القسم وكيف تعامل معي عرابي وصديقه.

- كنت أعرف ذلك، لماذا لم تجعلنا نعود في السيارة مع الجزار؟

- ولمَ ذلك؟ نحن عددنا كبير والسيارة لن تسعنا، وها نحن وصلنا إلى محطة الأتوبيس، دقائق وسنكون في البيت.

- فقط اعلم أنك تحاول أن تعمِّق الحفرة التي بينك وبين الجزار، وبالنسبة لك أنت تحتاج أن تبني معه جسورًا بدلًا من أن تقيم الحوائط بينكما، هل تفهمني؟

- لا، أخبرني ماذا فعلت مع مختار؟

- أخذت منه شاحنة لم أرَ لها مثيلًا؛ قوية وسريعة جدًّا، وضعتها في جراج المنزل الذي يسكنه فريد بعد أن ركَّبنا الدرع الحديدي في المقدمة وأصبحت الآن جاهزة لتطيح بأقوى سفينة من مينائها. وأعطاني أيضًا دراجتين بخاريتين تستطيعان سباق الريح. وكل هذا في الجراج الآن.

- جميل، فعلتم كل هذا بسرعة كبيرة.

- وماذا كنت تظن؟ والآن نحن معنا قطعتان من السلاح الذي يخصنا، ولحسن الحظ أيضًا سمير وفريد كلٌّ منهم معه ما يخصه.

- لا أريدهم أن يستعملوا أسلحة.

- ماذا، عملية مثل هذه ...

- (وهو يقاطعه) نعم، في مثل هذه العملية ليس من المفترض أن نستخدم أسلحة.

- أنا غير موافق، وسيرفض كلٌّ منهم رأيك هذا أيضًا.

- صدقني هذه العملية ستعتمد على السرعة وليس على القوة.

- مهما يكن، افعل ما تشاء ولكن لا تتكلم أمامهم بخصوص الأسلحة واترك الأمر لي، حسنًا.

بعد قليل وأمام البيت طلب علي من تامر.

- اذهب أنت الآن إلى طارق.

- من طارق؟

- رجلنا في الصيدلية واطلب منه أن يحضِّر لنا زجاجتين من المخدر.

- ولمَ لا تذهب أنت؟ فهو صديقك.

- أنا سأصعد لآخذ حمامًا دافئًا وأخلد للنوم؛ فأنا لم أنم منذ أيام.

- حمام دافئ في هذا الوقت!

- حسنًا، بارد، المهم لا تنسَ أن تذهب إليه، حسنًا.

****

استيقظ علي في المساء وخرج من غرفته متوجهًا إلى الحمام، إلا أنه لمح دعاء وتامر ومعهم فتاة طويلة جميلة ساحرة العينين يجلسون على الطاولة وأمامهم الكتاب القديم.

- (ودعاء تشير بيديها) هل ترانا!

- أنا أراكِ وأرى تامر، ولكن من هذه؟ (وهو يشير بيديه إلى الفتاة).

- (وهي تنظر للفتاة) هل تقصد أميرة؟ إنها صديقتي، تعمل مرشدة سياحية هنا في الأقصر، كنا في الجامعة معًا عندما كانت هي في كلية الآثار وأنا في كلية التربية، اقترب أكثر أريد أن أطلعك على شيء.

- حسنًا، ما الأمر إذن؟ (هو يجلس على الطاولة أمامهم)

- أريد ك أن تصغي إليّ جيدًا، عندما أخذت منك الكتاب كنت مولعة

obeikandl.com

به، وكنت أعلم أن به شيئًا مميزًا، وأخذته وذهبت به إلى أميرة وانبهرت به، وجلسنا نفك رموزه ونترجم هذه اللغة الهيروغليفية، ولن تصدق ماذا وجدنا!

- (وهو يمزح) كنز! آه!

ردت عليه أميرة بصوت ناعم جذاب.

- هل تمزح؟ نعم لقد وجدنا كنزًا، ألم تقل لك دعاء أصغ جيدًا.

- (وهو ينظر لها مبتسمًا) ها قد بدأت تتكلم.

هنا تدخَّل تامر.

- حقًّا يا صديقي استمع وأنت ستتعجب من القصة القادمة.

- أي قصة؟

هنا بدأت أميرة تتحدث باهتمام قائلة.

- الكتاب يحكى أنه كان هناك من زمن بعيد ملك فرعوني يدعى بيبي الثالث.

- (يضحك) بيبي! هاه!

obeikandl.com

- (متجاهلة) هذا الملك كان يريد أن يعين مستشارًا له في الحكم، وكان أقرب الناس إلى هذه الترقية كبير الكهنة، ولكن كان هناك فارس شجاع وقائد لم يسمح بهذه الخطوة، وكان يريدها لنفسه لأنه يعلم أنه إذا مات الملك سيصبح هذا المستشار هو الملك الجديد طبقًا لقوانين المملكة؛ ولذلك عمد القائد إلى أن يغير من فكر الملك لينصبه مستشارًا له من خلال إظهار مدى شجاعته في الدفاع عن المملكة وحفاظه على حياة الملك وتدريب الشباب وجعلهم أقوياء، وكانت الأمور توحي بأن الملك فعلًا سيعطى هذا المنصب لهذا الفارس، إلا أن امرأة رائعة الجمال كانت تعمل طبيبة في قصر الملك وصديقة للملكة أيضًا وزوجة للكاهن وكانت تريد المنصب لزوجها؛ لأنها تحلم في يوم من الأيام أن تصبح ملكة؛ لذلك عملت على أن تزيح هذا الفارس من طريق زوجها الطيب الذي لم يكن يأبه بهذه الوظيفة.

كانت هذه الطبيبة مولعة بالنباتات والأزهار، تستخرج منها الأمصال والسموم، وكانت مشهورة بتفوقها وعلمها الطبي الغزير، وكانت ذات شأن وموضع تقدير من الملك وأتباعه، استطاعت هذه الطبيبة العثور على نوع من الزهور نادر جدًّا، وكان اسم هذه الزهرة هو (لواتا)، استخرجت منها مادة في معملها وحاولت أن تجربها أول الأمر على قطتها عندما كانت تشرب اللبن، فلم تمر ثوانٍ إلا وكانت هذه القطة ميتة بين يديها، كانت مبهورة فعلًا بما مرت به القطة، لقد كانت تشرب اللبن وعندما سكبت قليلًا من محلول أحمر داخل

الوعاء، أحست به القطه سريعًا وتراجعت للخلف ونامت على جنبها، وكانت تختنق بطيئًا بطيئًا حتى فارقت الحياة. أعجبت الطبيبة بهذا السم المروع ونوت أن يكون أول تجربة آدمية لها لنجاح هذا السم هذا القائد الذي يقف في طريق أحلامها.

وبالفعل كانت تتقرب من هذا الفارس ببطء وترقبه وتثيره بمفاتنها إلى أن أحست أنه لم يعد يستطيع الانتظار أكثر من ذلك وأن الفرصة سنحت، فقامت بدعوته في بيتها ليلًا في الوقت الذي سيعقد فيه الملك حفلة كبيرة ويكون زوجها هناك.

لبّى الفارس الدعوة وذهب إلى بيتها الفخم ووجدها في انتظاره ترتدي أجمل ما عندها وتقف بجوار طاولة عليها أشهى المأكولات، كانت تقف وفي يدها كأسان من الخمر، اقترب منها هذا الفارس الذي كان يرتدى أعتى وأصلب دروعه قوة وفي يديه خوذته المزخرفة والمكسوة بالريش، اقترب منها وهو يشير إلى مدى جمالها ويثبت لها كيف أنها فتنته وما يحس به نحوها، ثم مدت يدها لتقدم له كأسًا من الذي في يدها فأخذه وقالت له: نخب السهرة الجميلة التي سنقضيها معًا، وهو يرفع الكأس عاد سريعًا وقال لها: لا، نخب أجمل امرأة في المملكة كلها، ثم دار حولها وهي قلقة..

قائلًا: امرأة رائعة الجمال مثلك تستحق أن تكون ملكة. شكرته وهو يرفع الكأس إلى فمه أعاده ثانية مسرعًا ثم قال لها أتمنى أن تشربي من كأسي أولًا، أريد أن أستطعم فمك في فمي أريدك أن

تزيدي هذا الخمر حمرة ولذة. تراجعت خطوة وقالت وهي قلقة: أنا في يدي كأس، لو أردت أن تشرب منه تفضل، اقترب منها وعيناه مثل الصقر قائلًا: أريدك أن تشربي من كأسي هذا، ومد يده لها لتأخذه، وبالفعل بعد توجس أخذت الكأس وهي تنظر فيه، تعلم أنه مسموم وأنها هي التي وضعت السم في داخله، ولكن ماذا تفعل؟ أمسكت الكأس وهي تنظر للقائد مبتسمة ابتسامة الحية ورفعت الكأس ببطء، وعندما فتحت فمها أمسك القائد يدها وجعلها تتجرع الكأس كله عنوة وترك يدها وعاد للوراء وهو ينظر لها بعد أن ترنحت وأمسكت كرسي الطاولة تستند عليه، دار حولها من بعيد قائلًا، كنت أعرف أنك ما دعوتني إلى هنا إلا من أجل أن تتخلصي مني لكِ يفوز زوجك الضعيف بالمنصب الذي من الأجدر أن يفوز به القوي.

سقطت على الأرض وهي تمسك بطنها وأخذت تأتي مواد بيضاء من فمها وهي تتلوى وهو يتابعها باشمئزاز، وإذا بها تصرخ صرخة قوية مدوية ثم انتفضت وهمدت ساكنة لا تأتي حراكًا. عبر الفارس من فوقها ووقف على مقربة منها قائلًا: أفعى قتلت نفسها بيدها، هذا هو مصيرك الذي كان ينتظرك. ثم بصق بجوارها وخطا ليخرج، وما

إن تحرك خطوتين حتى أحس بحركة خلفه، وقف صامتًا برهة ثم أدار رأسه ببطء ليجدها واقفة خلفه ولكن شكلها قد تغير؛ فقد أصبحت عيناها بيضاء كلها بعد أن اختفت حدقتها وأصبح شعرها هشًّا، وظهر في يدها أظافر طويلة حادة غير ما كانت هي تشعر به من تغيير في هيئتها وجسمها، وأحست أنها أصبحت باردة واختفى الدم من وجهها.

اقتربت منه وهو ينظر إليها عائدًا للخلف مذعورًا، ولكن كان هناك شيء في عينيها جعله يستسلم لا يستطيع أن يفكر، وبعد أن شلته مدت يدها إليه وهي تبتسم مثل الأفعى، فما كان منه إلا أن أعطاها يده بدون إرادة منه، وقامت بغرز أظافرها الحادة في يده حتى شعر بوخزة خفيفة وشعرت هي بلذة، وأحست أن هناك شيئًا من داخلها يسري بداخل عروقه، فورًا أحس بدوار أخذ يشتد رويدًا رويدًا إلى أن تركته، وسقط هو على ركبتيه وهي تقف منتشية جدًّا، ولم يمضِ كثير حتى شعر القائد أن أمعاءه تتقطع ورئته تختنق وسقط على أثر ذلك قتيلًا مسمومًا.

بعد قليل عاد إليها شكلها الطبيعي، وكانت مذهولة مما حدث، فجلست بجوار الفارس القتيل، جلست تفكر كيف حدث هذا! كيف لم تمُت عندما شربت هذا السم! وكيف مات بدون أن يشربه!

ظلت هكذا ساعات تفكر طويلًا، إلى أن قررت أن تأخذ من بيتها هـذا ما تحتاجه وتبتعـد بعيـدًا حتـى تجـد حـلًّا لهـذا اللغـز الـذي ألمَّ بهـا. وغادرت.

عاد الكاهن إلى بيته في الليل المتأخر، وعندما رأى هذا الوضع المذري: القائد ملقًى قتيلًا على الأرض جثة هامدة، والكراسي

مبعثرة والخمر مبللًا بلاط البيت، حاول أن يبحث عن زوجته

ولكنه لم يجدها، فانتابه الذعر والخوف ثم عاد إلى الملك ليخبره

بكل ما رآه، وبالفعل حضر كل من في بلاط القصر وهم لا يصدقون

ما يرون، وبعد البحث الضيق والسؤال لم يعثروا على مكان زوجة

الكاهن، فأمر الملك الحراس أن يبحثوا في كل أرجاء المملكة حتى

يعثروا عليها، وإذا كان أمر هذه المـرأة بالنسـبة للكـاهن أنهـا زوجـة يخاف من

أن يكـون القائـد قـد قتلهـا أو فعـل ذلـك أحـد مـن حراسـه، فـالأمر بالنسبة

إلى الملك أن هناك جريمة قتل بشعة لملكٍ على المدى الطويل

ومستشارِ للملك محتملِ وممن؟ من منافسه وأقرب الناس في البلاط الملكي. لم ينتظر الملك وأمر بحبس الكاهن إلى أن يعثروا على زوجته وتتضح الحقيقة للجميع، وإلى هذا الوقت فالجريمة في بيت الكاهن وهو وزوجته أول المشتبَه بهم، وإلى أن يجدوا زوجته فالكاهن خلف الأسوار.

مرت أيام طويلة وزوجة الكاهن ليس لها أثرٌ، والملك يزداد عنادًا وتشبثًا، يريد أن يعرف أثرها، لقد قتله التفكير، يريد أن يعرف حقيقة هذه الخيانة العظمى التي وقعت، لقد أصبح يشك في كل من حوله، وملَّ الانتظار، يريد أن يستنصر على الدافع وراء هذه الجريمة، يريد أن يرى العدالة تتحقق تحت جناحَي المملكة، وفي يوم لاحق كان هناك حارسان على فرسيهما في قلب الغابة يبحثان عن زوجة الكاهن إلى أن اهتدى بهما الحال إلى كهف صغير فاقتربا منه ببطء، وبالفعل وجدا الطبيبة تخرج منه صدفة، وعندما

لمحتهما وقفت مكانها على أول الكهف صامتة، ثم اقتربت منهما ببطء

وطلبت منهما الرحيل بهدوء، ولكنهما أصرّا على أخذها معهما، وبعد شد وجذب وجدال أخبرها أحد الحراس أنه مرغم على استخدام القوة معها، وبينما هو يمد رمحه ليجرحها كانت أسرع منه وأقوى وأمسكت الرمح وجذبت الحارس من فوق الفرس إلى أن وقع على الأرض، ثم تراجعت قليلًا وطلبت منهما ثانية الرحيل، وأخبرتهما أنها لو غضبت فسيكون هذا تهديدًا لحياتهما، ولكنهما لم يستمعا إليها، بل

اقترب منها أحدهما وصفعها على وجهها، وما إن آلمتها الصفعة حتى أخذ الغضب يتملّكها، وابيضت عيناها وظهرت أظافرها الحادة وأحست بتغيرات على بشرتها وجسمها، ثم اقتربت منهما ببطء، فحاول نفس الحارس أن يصفعها ثانية ولكنها أمسكت يده بقوة وغرزت أظافرها الحادة في رقبته إلى أن وقع على الأرض

صريعًا، واقتربت من الثاني وهو خائف يعود إلى الخلف وينظر إليها وإلى صديقه الذي ظل يتلوى على الأرض من الألم، مدت يدها له فاستسلم ومد يده عندما نظر في عينيها، وما إن غرزت أظافرها في عروقه حتى سقط كما سقط قبله القائد والحارس.

في الوقت التي كانت تقتل فيه الحارس الثاني وتتلذذ بقتله كان هناك حارس ثالث يقف على هضبة عالية لمحهم من بعيد، واقترب منها وسدَّد سهمه إليها إلى أن اخترق السهم رقبتها من الخلف، فوقعت صريعة مكانها لا تُبدي حراكًا.

أتى الحارس ببعض رفاقه، ثم نقل زوجة الكاهن على ناقلة وعادوا بها إلى القصر، وعندما رآها الملك ميتة ثار وغضب، ولكن الحارس روى ما رآه، ولم يصدقه الملك وأمر بحبسه لأنه خالف أوامره وقتلها بسهمه، وطلب أحد الأطباء الذي كان في هذا المجلس أن يأخذ الجثة ليتفحص ما بها، وبعد تردد وتفكير سمح

له الملك بذلك، وأمر هذا الأخيرُ أن يحضروا الكاهن أمامه في التوِّ

والحال، وعندما حضر قص عليه الملك ما حدث فما لبـث الكـاهن أن وقع مغمًى عليه.

أتى الكاهن إلى الملك بعدما استعاد عافيته، ولكنه التزم الصمت لكل

من يحاول أن يتكلم إليه، إلا عندما وقف أمام الملك طالبًا أن يُعفيه

من خدمة الدير والآلهـة، وطلـب منـه أن يعفـو عـن زوجتـه ليكـرم دفنها

ويضع لها القرابين حتى تعفو عنها الآلهة وألح في طلبه، ولم

يمضِ كثير حتى سمح الملك للكاهن أن يأخذ زوجته ليدفنها على

طريقته بعد أن عارض الطبيب الذي أخذها معارضة شديدة وأخبر

الملك أنه أخذ عينة من دمها ووجدها سامة وقتلت حيوانًا رآه بأم

عينه، ورغم كل الحبال التي كان الطبيب يتعلق بها إلا أن الملك

آثر أن يُكرم طلب الكاهن الأخير.

أخذ الكاهن زوجته وحفظها في بيته وأخذ يحنطها ويكرم دفنها،

obeikandl.com

وتركها في غرفة مليئة بالمراسم الدينية وشتى أنواع البخور حتى تطهر جسدها من الأرواح الشريرة، وذهب هو إلى الكهف الذي كانت تختبئ فيه بعد أن علم مكانه من الحارس الذي قتلها ولم يذهب أحد إلى هناك تكذيبًا له.

دخل الكاهن الكهف وأخذ يبحث في أرجائه، وجد قوارير زجاجية إحداها فارغة وأخرى بها دم وثالثة بها محلول أحمر، ووجد على الأرض مساحيق، ووجد كتابًا في أحد الأرجاء كانت تسجل فيه كل شيء، أخذ كل ما وجده ثم عاد إلى البيت وأخذ يقرأ في الكتاب وهو مذهول مما كتبته زوجته، لقد كتبت كل ما حدث وفصَّلته، وكيف أنها أخطأت وكانت تحاول أن تعالج ما أخطأت بفعله، ولكن هيهات؛ فقد كان قدرها أسرع منها. قام الكاهن بدفن زوجته في تابوت خاص وجعل له قفلًا لا يستطيع أحد أيًّا كان أن يفتح هذا القفل إلا بمفتاحه؛ كان يخاف أن يأتي أحد ويلوِّث

مقبرتها بيده. واحتفظ هو بالكتاب وأخذ يزيد عليه.

في هذه الأثناء قاطعها علي بعد أن نظر إلى الساعة ووجد أن الوقت قد نفد منه.

- في الحقيقة هذه قصة رائعة، ولكن هل من الممكن أن تخبريني ماذا تريدين، لأني حقيقة تأخرت وعندي عمل كثير أريد أن أنهيه.

أجابته أميرة بنفس الاهتمام.

- حسنًا، لقد دفنت زوجة الكاهن في مقبرة وطبقًا للخريطة التي رسمها الكاهن فهذه المقبرة هنا في الأقصر وليست بعيدة عنا.

- (وهو ينظر للجميع) وهل صدقتم هذه الأسطورة وهذا الكتاب؟!

هذا شيء لا يحدث.

هنا تدخلت دعاء.

- لماذا؟ هل أنت من كتب هذا الكتاب؟

- لا.

- وهل كتبه من كان عنده هذا الكتاب؟

obeikandl.com

- لا أعلم.

- (ردت أميرة بثقة) بالطبع لا، هذا الكتاب قديم جدًّا وما بداخله أنا أصدقه.

- (دعاء مؤيدة) وأنا أيضًا.

- (وتامر بصوت خافت) وأنا.

- حسنًا، كأني صدقت، ماذا تريدون مني الآن؟

أجابت دعاء.

- نريدك أن تأتي معنا لنكتشف هذه المقبرة.

- ماذا؟

تابعت أميرة ....

- هذه المقبرة كما تقول الخريطة أسفل معبد إسنا، ونريد أن نذهب إليه، ما رأيك؟

- بالطبع لا، أنا لا أصدق ولن أذهب ولن تذهب دعاء إلى هناك.

اقتربت دعاء من علي وأخذت تتلطف له.

obeikandl.com

- أنت تعلم أني طوال حياتي كنت أتمنى أن أقوم بمغامرة جميلة مثل هذه، ولن يكون هناك خوف علي؛ لأنك ستكون معي؛ لذلك أخبرتك.

- (بصوت خافت) هذه ليست مغامرة، هذا جنون.

- أتحدثني عن الجنون، هل نسيت من أنت وماذا تفعل؟

أرجوك يا علي لنجعل هذا اليوم في ذاكرتنا لن ننساه، أرجوك.

دعمت أميرة صديقتها قائلة.

- صدقني ستكسب من هذه المغامرة كثيراً.

- (وتامر بلغة الأطفال) أرجوك وافق يا علي.

وبعد قليل وبعد أن نظر علي إلى الساعة.

- أخبروني أولًا، لماذا تلحون على الذهاب إلى هناك؟

رد الثلاثة في صوت واحد ... من أجل الكنز.

طلب علي من تامر أن يذهب إلى العم رشاد ويأتي منه بموعد العملية إلى أن يذهب إلى طارق الصيدلي ليأتي منه بالمخدر الذي لم يحضره تامر ويحضر سمير ويتقابلا في بيت فريد في الجراج.

obeikandl.com

****

في منزل الجزار، كان عابدين يقف أمام مكتبه وبجواره عصام جالسًا على الأريكة.

- (مخاطبًا عابدين) هل أخبرت رشاد بما سيفعله؟

- نعم أخبرته بكل شيء، ولكن عندي شك في أن ينفذ ما أمرناه به.

- من الممكن أن يحدث هذا، ولا سيما أن هذا الرجل العجوز يجعل من نفسه أمًّا حنونًا لهما، ولكن لننتظر، وعلى العموم هو يعلم أنه لن يبقى طويلًا.

تدخَّل عصام في الحديث بينهما كعادته سائلًا.

- هل تريد أن تتخلص من العم رشاد يا أبي؟

- هذا قضاؤه يا بني.

- ولكن ...

- أعلم، أنا أيضًا لا أريده أن يتألم، لا تقلق سأجعل موته سريعًا.

****

عاد تامر فوجد الجميع في انتظاره، وأخبر علي بأن العملية ستكون بعد غد، وأن التسليم سيكون عند الساقية المهجورة كما أراد علي الذي جلس مع أصدقائه طويلًا يخططون لهذا اليوم.

صباح يوم العملية.

كان متحف الأقصر مليئًا بأجهزة الأمن يحرسون والعمال ينقلون الآثار داخل الشاحنة الكبيرة إلى أن انتهوا، وانطلقت من مكانها تسبقها سيارة سوداء جيب بداخلها ثلاثة من رجال الحراسة المحترفين وسيارة مشابهة لها تسير خلفها، كان على يتابع هذا المشهد من بعيد وهو يركب على دراجته النارية بملابسه السوداء وقفازاته والخوذة على رأسه مثل الجميع، وانطلق خلفهم يراقبهم وفي أذنه سماعات يخاطب بها أصدقاءه.

- (وهو يتكلم في السماعة بصوت هادئ) تامر، هل تسمعني؟

- نعم يا علي، أين أنت الآن؟

- لقد انطلقت الشاحنة، ولكن هناك سيارتين تحرسانها وليست واحدة.

- وما العمل إذن؟

- ابقَ في مكانك حتى أخبرك بما ستفعله، هل سمير بجوارك؟

- (دخل سمير على الخط) موجود يا زعيم ورهن إشارتك.

- وأنت يا فريد.

- (دخل فريد على الخط هو أيضًا) منتظر قدومك يا علي.

- حسنًا لتبقوا على استعداد ولا أحد يضغط على زناد

سلاحه مهما حدث؛ أريدها بيضاء يا أصدقاء.

كانت الشاحنة تشق شوارع المدينة، وعندما قاربت الخروج وقفت سيارة من السيارتين اللتين كانتا تحرسان الشاحنة، فقلق علي وأحس أنه من الممكن أن يكون هناك من شعر به، ولكن هذه السيارة أخذت طريقًا جانبيًا ورحلت، وأكملت الشاحنة طريقها ومعها سيارة واحدة كما كان مخططًا لها.

دخلت الشاحنة أول الطريق الصحراوي وخلفها سيارة الحراسة يعقبهما علي.

- استعدَّ يا فريد، لقد حان دورك.

- أنتظر الإشارة، هل أنتم جاهزون يا أولاد؟

فأجاب تامر متحمسًا.

- سنكون خلفك مباشرة.

- هيا، انطلق.

انطلق فريد على الدراجة النارية حتى لحق بالشاحنة وأخذ يفتعل ضوضاء ويرفع دراجته حتى جذب انتباه السيارتين وضاق به رجال الحراسة، وفجأة ومن العدم ظهر تامر وسمير في الشاحنة الصغيرة المزودة بالدرع الحديدي واصطدم بكل قوته بسيارة الحراسة الجيب من أحد الجانبين، وكان الصوت مدويًا، انقلبت السيارة الجيب مرات من شدة الصدمة ودخلت على الرمال منقلبة على ظهرها.

في هذه الأثناء كان علي يتقدم مسرعًا عابرًا هذه الضوضاء ووقف على دراجته وأخرج مسدسًا وأشهره في وجه السائق مهددًا بقتله إن لم يتنحَّ جانبًا، وكان فريد على الجانب الآخر رافعًا سلاحه في وجه المندوب الذي كان مذعورًا.

كان تامر وسمير قد نزلا من شاحنتهما الصغيرة متوجهين نحو السيارة الجيب وقاما بإخراج الرجال وهم مصابون، ثم قاما بتخديرهم

وقيدوهم ووضعوهم خلف السيارة، ثم عادا ليركبا الشاحنة وتوجها إلى مكان شاحنة المتحف التي كانت تقف على مقربة منهم.

أمام الشاحنة الكبيرة بعد أن وقفت.

- (وبعد أن أوقف علي دراجته ووقف أمام الشاحنة وفي يده مسدس مخاطبًا السائق) نعم، هكذا، انزل بهدوء إذا كنت تخاف على حياتك، وإذا حاولت (ثم غمز بعينه إلى السائق كناية عن قتله).

أجابه السائق خائفًا.

- أقسم لك أني لن أفعل شيئًا، ولكن أرجوك لا تقتلني؛ فأنا عندي زوجة وأولاد.

- (بصوت هادئ وهو يقترب منه) لا تخف؛ فأنا أيضًا لا أحب الدم.

ثم قام علي بتخديره، وأتى سمير وتامر وحملاه ووضعاه خلف الشاحنة حيث يقف هناك مندوب المتحف رافعًا يده وأمامه فريد مصوبًا مسدسه تجاهه.

- (علي لمندوب المتحف الذي كان مذعورًا) لا تخف، لن يمسك أحد، كل ما نريده منك أن تفتح هذه الخزنة.

رد عليه المندوب بصوت مرتجف.

- أقسم لك، أنا لا أعرف عن الخزنة شيئًا ولا أستطيع فتحها، كل ما أملكه هذا المفتاح للباب الذي توضع الخزنة الكبيرة خلفه، ولكن الشخص الذي معه مفتاح الخزنة الداخلية ورقمها يركب في الطائرة الهليوكوبتر التي تنتظرنا على بعد ميل من هنا.

تامر وهو في الشاحنة الكبيرة يتفحص الكابينة الأمامية حذرهم منزعجًا.

- الشرطة ستكون هنا خلال عشر دقائق.

رد سمير قلقًا.

-كيف؟

- لقد ضغط هذا الوغد على زر الاستغاثة، ومن الواضح أنه لم يبقَ أمامنا وقت.

- ألا يوجد حل لإيقافه؟

- لا.

obeikandl.com

اقترب فريد من المندوب غاضبًا محاولًا أن يضرـبه ولكـن عليّـا لحقـه وأخذه بعيدًا.

- (وهو يشير بيديه) لن يجدي نفعًا ما ستفعله.

- ألم تسمع ما قاله تامر، لا يوجد أمامنا سوى عشر دقائق، كيف سنفتح هذه الخزنة؟ أخبرني أننا سنأخذ هذه الشاحنة بأكملها؟

- لا، لن يحدث هذا، اهدأ يا فريد، أنا أمتلك الوقت الكافي.

- الوقت ضيق جدًّا يا علي.

- انتظروا وسترون.

ثم انطلق علي إلى دراجته وأتى بحقيبة ووقـف أمـام الخزنـة بعـد أن جعل المندوب يفتح الباب الخلفي، وقف الجميع خلف علي يراقبونـه وهو ممسك مفكًّا في يده ويحاول فك بعض الأشياء في الخزنة.

- أتظن أنه من الأفضل أن نتخلص من هذا المندوب؛ لأنه قد سمع كثيراً عنا.

قال هذا فريد للجميع قبل أن يرد عليه المندوب خوفًا.

- أقسم لكم أني لن أتكلم بأي شيء؛ فأنا أساسًا لم أركم.

- (وعلي يعمل) هل خلع أحدكم قناعه؟

- لا، ولكنه سمع كثيراً من المفترض ألا يسمعه.

- لا تقلق يا فريد فنحن سنخدره وعندما يفيق فهو سيكون ولدًا مهذبًا.

لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم، أليس كذلك أيها الولد الكبير؟

- نعم، نعم، أقسم أني لن أتكلم بكلمة واحدة.

في هذه الأثناء أمر علي الجميع بالابتعاد وظل يربط بعض الأسلاك ببعضها وهم يتابعون بترقب، ولم يمضِ شيء حتى أتى علي ليقف بجوارهم مبتسمًا ثم ضغط على زر في يده فانفجرت الخزنة من الخلف انفجارًا خفيفا جدًّا، واقترب الجميع بعد أن خف الدخان الذي صدر عنها وقام علي بتدوير القرص الكبير يمينًا ويسارًا وهو يضع أذنه على الخزنة، ثم أمسك المقبض وضغط عليه ففُتحت الخزنة الكبيرة، وانبهر الجميع بما شاهدوه من آثار. دخل علي بعد أن طلب منهم الانتظار في الخارج وأخذ يتجول في الخزنة منبهراً، وتمنى أن يأخذ كل ما في قلبها ولكن دون جدوى، لمح علي عقدًا من الألماس الأسود رائع الجمال شديد اللمعان موضوعًا في صندوق زجاجي محفوظ في علبة

فخمة كانت مفتوحة، ثم قال في قرارة نفسه، نعم إن هذا العقد يستحق كل ما تكلف له من عناء.

أخذ علي العقد وخرج مسرعًا وطلب من الجميع أن يخرجوا كما اتفقوا، وأخذ المندوب ووضعه خلف الشاحنة ثم قال له:
- سأقيدك، وأقوم بتخديرك وعندما تأتي الشرطة وتسألك عما حدث إياك أن تذكر شيئًا؛ لأن ذاكرتك لو عملت جيدًا فاعلم أني سأسعى خلفك لأمحوها وأمحوك أنت أيضًا من الحياة، هل هذا واضح؟

- (والمندوب يهز رأسه) نعم واضح.

خرج علي سريعًا من مكانه واختفى بدراجته النارية وكذلك فريد وأيضًا تامر وسمير بشاحنتهم الحديدية، وذهبوا إلى المكان الذي سيتسلم مختار عز فيه العقد عند الساقية المهجورة.

كان مختار عز ورجاله ينتظرون عليّا وأصدقاءه الذين حضروا وسلَّموا له العقد.

- (ومختار ينظر للعقد منبهرًا سعيدًا)

ما أجمله! هذا العقد أروع من الصور التي أخذناها له.

(وهو ينظر لرجاله) أمن الممكن هذا؟ هذه التحفة بين أيدينا الآن!

ما أروع هذا الماس، (ثم أشار بإصبعه إلى أحد رجاله الذي كان يقف في الخلف فأتى وأحضر حقيبة سوداء في يده وضعها أمام علي).

(مخاطبًا علي) لقد نجحت يا علي أنت وأصدقاؤك، وهذا هو

المال الذي اتفقت عليه مع العم رشاد، خذ الحقيبة أمامك.

أخذ علي الحقيبة ثم غادر وترك الشاحنة ذات الدرع، وترك الدراجات النارية لمختار يتكفل بها، واتجهوا ناحية سيارة كان فريد قد ركنها أمس، وفتح فريد شنطة السيارة وأخرج منها حقيبة مليئة بالملابس، وأخذ الجميع يبدلون ملابسهم ثم ركبوا السيارة وعادوا إلى بيت فريد داخل جراجه، وهناك...

- (مخاطبًا فريد) هل تستطيع أن تتخلص من هذه الملابس؟

- نعم وبسرعة.

- حسنًا، أريد من كل واحد منكم أن يعود إلى حياته العادية ولا يثير أي شكوك حوله، اتفقنا!

سمير: حسنًا.

وضع علي الحقيبة على السيارة داخل الجراج المقفول ثم أعطى كلا منهم نصيبه، واتفق معهم أنه سيعطي العم رشاد نصيبه في أقرب فرصة، وطلب من الجميع الرحيل.

عاد علي وتامر إلى المنزل في هدوء وأخذا حماماً وغيّرا ملابسهما ثانية، وأخبر علي والدة تامر بأنهما كانا في المنزل منذ أمس ولم يخرجا في حالة إذا ساءت الظروف، ثم قام الاثنان بالتوجه إلى بيت العم رشاد بعد أن أخفيا المال في مكان آمن.

****

كان المشهد في الصحراء مروعًا؛ حيث اجتمع حول شاحنة المتحف رجال الإسعاف حيث نقلوا جميع من كانوا بمكان الحادث إلى مستشفى في وسط المدينة، والتفَّ رجال الشرطة والأدلة والفحص الجنائي في الموقع يفحصون ويعاينون ملابسات الجريمة، ووصل الضابط أنور إلى مكان الواقعة متأخراً.

- (وهو يقترب من أحد الضباط) الرائد أنور طلعت.

- (اقترب منه الآخر يصافحه) أنا النقيب أحمد علاء من شرطة السياحة.

- ما الذي حدث؟

- لقد تلقينا اتصالًا بأن مجموعة من الملثمين سرقوا شاحنة تحوي آثارًا من المتحف كانت تنوي الذهاب إلى العاصمة.

- هكذا، بكل بساطة؟

- للأسف نعم، الشاحنة كانت تحمل خزنة متحركة.

- وهؤلاء فتحوا الخزنة وأخذوا كل ما في داخلها؟

- نعم، لم يتبقَّ من القائمة إلا أغراض بسيطة، في الواقع الأغراض التي لم يستطيعوا حملها.

- ولم يكن مع الشاحنة أي حراسة؟

- هذه (وهو يشير إلى السيارة الجيب المقلوبة) سيارة حراسة.

ووجدنا الثلاثة الذين بداخلها مقيدين ومخدرين خلف السيارة.

- وأين هم الآن؟

- هم الآن في مستشفى المدينة.

- وأين السائق، هل قُتل؟

- لا، السائق والذي كان بجواره أيضًا في المستشفى، لقد كانت السرقة بيضاء لم نجد بها قطرة دم واحدة، ولكنهم فجَّروا الخزنة. نسبة بسيطة من المتفجرات لا تُذكر، رجال الأدلة يقولون إن البصمات تحيرهم.

- كيف؟

obeikandl.com

- هم لم يجدوا بصمات على الخزنة ولكن هناك أنواع مختلفة من آثار إطارات السيارات، منها من سلك الشرق، ومنها من دخل إلى الصحراء، وهناك آثار دراجات نارية، وما يزالون يفحصون ولا بصمات على الشاحنتين.

شكر أنور النقيب أحمد ثم اتجه إلى رجال البحث وأخذ يسألهم وتوجه إلى الشاحنة وأخذ يفحصها وكذلك إلى السيارة الجيب، وبعد أن انتهى أخذ سيارته وانطلق متجهًا شطر المستشفى.

****

وصل علي وتامر إلى منزل العم رشاد، وما إن اقتربوا من الباب حتى وجدوه مفتوحًا فدفعوه ببطء، وما إن تقدَّم علي خطوة واحدة حتى ارتد مذعورًا ولم يصدق ما رآه؛ فقد كان العم رشاد نائمًا على بطنه في وسط الحجرة والدم في كل مكان حوله، اقترب منه علي وهو يدمع لا يصدق ما يراه، ثم بكى وأمسك العم رشاد وضمه إلى صدره وهو ينظر إلى وجهه الذي كان مغطى بالدم، ثم نظر إلى تامر الذي كان يدمع.

- لقد ذبحوه، المجرمون، أرادوا أن يفصلوا رأسه عن جسده.

(وهو يصرخ منتحبًا) ماذا فعل؟! أخبرني، لقد كان عجوزًا مسالمًا.

(ويزداد صراخًا وغضبًا) لماذا؟! لماذا؟! من فعل هذا به؟

وبينما كان تامر يربت على كتف علي ليخفف وطأته سمع سيارات الشرطة بالخارج ولم تمرّ ثوانٍ حتى كان الجميع بالداخل ومن بينهم أنور، ووجدوا علي يجلس منهارًا من البكاء وهو يحتضن العم رشاد الذي مات ذبحًا وبجواره يجلس تامر، اقترب أحد الضباط وأمسك السكين التي كانت على الأرض الملوثة بالدم ووضعها في كيس بلاستيكي ثم خرج، وانتشر رجال الشرطة كلٌّ يعرف عمله؛ فمنهم من اتجه ليرفع البصمات من الحائط وأرجاء البيت، ومنهم من أسدل الستار عن بعض الغرف ومنع الدخول فيها، وحضر رجال الفحص الجنائي وكان الضابط أنور يقف على مقربة من علي.

- اترك العم رشاد يا علي، اتركه وقِف ببطء.

(وهو ينظر لتامر) هل تعلمون من فعل ذلك؟

- لا، لقد دخلنا منذ قليل ووجدناه هكذا، فأسرع إليه علي كما ترى.

أمر أنور رجاله أن يُخرجوا علي وتامرمن مكانهما ولكن ببطء وهدوء، وبالفعل خرجا؛ لأن علي لم يبدِ حراكًا وكان يسير بجانبهما يبكي مذهولًا من هول الحادث.

لم يمر الوقت سريعًا حتى علمت الحارة جميعها بما حدث، وتجمّع الناس كلمة هنا وكلمة هناك، وبدأت الأحاديث والروايات تنتشر عن قتل العم رشاد، هناك من قال إنه ثأر ووفي، ومنهم من قال إنه سرق أحدهم وجاء ليرد الدين، ومنهم من ادعى عليه كذا وكذا، وكأنهم كانوا يعيشون معه، ووجدت الشرطة صعوبة في العمل إلى أن حدا بها الأمر إلى أن فرّقت الناس بالقوة وبعد عناء.

حضر الجزار الذي بدا عليه أنه لم يُعنَ بملابسه وأتى مذعورًا وعلى وجهه التعجب مما سمع، واخترق الجميع ووجد العم رشاد على الأرض وعليه غطاء أبيض، فاقترب منه وجلس بجواره ورفع الغطاء بطيئًا من على وجهه، وما إن رآه حتى وقع للخلف وهو يبكي، فأمر أنور رجاله ثانية أن يُخرجوه حتى لا يمحو أي دليل للجريمة بانفعاله هذا، ولكنهم وجدوا صعوبة؛ لأنه كان ثائرًا ويصرخ على صديقه الذي قُتل.

أخرج رجال الشرطة الجزار يحملونه ومروا به من أمام علي وتامر وهما يجلسان بالخارج، وكانت والدة تامر تجلس خلفهم فقالت:

- أنا متأكدة أن هذا الثعبان هو الذي قتل العم رشاد.

- كيف ذلك يا أمي؟ لقد كان صديقه طيلة حياته.

- لقد قال لي العم رشاد قبل موته بيومين إن الجزار طلب منه أن يسند

لكما مهمة، الجزار كان قد دبرها لتقعوا في أيدي المرغني ليقوم هذا الأخير بالعفو عنكما تكرمًا للجزار وتصبحون رهنًا له.

سألها تامر متعجبًا.

- ماذا تقولين يا أمي؟

- العم رشاد أتى لي وأخبرني بكل شيء، وأخبرني أنه لن يفعل ذلك؛ لأنكم أبناؤه ومن المستحيل أن يؤذي أب أبناءه.

سمع علي هذه الكلمات ولم يستطع البقاء على صمته ثم قام وظل يصرخ ويضرب الحائط بيديه ورأسه حتى اجتمع عليه تامر ورجال الشرطة يكفُّونه عما يفعل، ولكن انتهى الحال به أن وقع على الأرض مغمًى عليه.

****

استيقظ علي في المستشفى ونظر حوله فوجد والدة تامر ودعاء بجانبه تواسيانه، ولكنه نهض وحاول أن يخرج بدون أن يحدِّث أحدًا ولكنه وجد حارسي شرطة بالخارج وطلبا منه أن يسير معهما إلى القسم طبقًا لما أمرهما به الضابط أنور.

obeikandl.com

دخل الحارسان على الضابط أنور وفي يدهما علي وهو مسالم كليًا ينظر للأرض وعيناه دائمًا تدمع ولا تذرف قطرًا وقامته منحنية للأمام.

- انتظروا أنتم في الخارج.

قال أنور هذا لحراسه قبل أن يتجه إلى علي بنظره قائلًا.

-اجلس يا علي.

ولكن علي لم يتحرك ولم يرفع حتى رأسه.

- اسمع يا علي، أنا أعرف أنك كنت تحب العم رشاد كثيرًا، ولكن أنا في عملي كضابط لا أفرق بين قريب وبعيد (وهو يشعل سيجارة) هل تعرف أن هذه الجريمة متزامنة مع أخرى (ثم قام من على كرسيه واتجه إلى علي وقدَّم له سيجارة، ولكنه لم يأخذها ولم يبدِ حراكًا فأدخل السيجارة في العلبة ورماها على المكتب) هل تعلم أن الاثنتين أبشع من بعضهما، لقد اختلط الحابل بالنابل معي في هذا الوقت، وكل ما أريده منك أن تتكلم وتخبرني بكل شيء أسألك عنه؛ حتى نستطيع أن نحل غموض هذه القضية ونعرف من هو القاتل. ولعلمك لم نجد على السكين بصمات؛ لذلك مساعدتك ستكون عونًا كبيرًا لنا.حسنًا، هل تعرف أحدًا تشاجر مع عم رشاد مؤخرًا؟ (ولكن علي لم يبدِ حراكًا فعاد أنور) هل كان هناك أحد يُبطن له الشر، هل كان له أعداء؛ أحد يطمع في شيء يملكه؟ هل كان لدى أحد ثأر معه؟

obeikandl.com

كل هذا وعلي لم ينطق بكلمة واحدة ولم يتحرك؛ الأمر الذي جعل أنور يغضب وأمسكه من ياقته.

-هل تظن أن صمتك هذا سيفيدك؟! على العكس أيها المعتوه؛ من الممكن أن تتحمل وزر هذه الجريمة وحدك؛ لأنك كنت الوحيد الذي وجدناه مع الجثة عندما حضرنا، أخبرني.

كل هذا وعلي صامت في مكانه لا يتحرك حتى سئم الضابط أنور منه وطلب من الحراس أن يضعوه في الحبس، وما إن دخل علي حتى وجد تامر في أحد الأركان، وفي الركن المقابل كان يجلس الجزار وابنه وعابدين وبعض رجاله، وفي المنتصف يجلس المرغني وولداه التوأم؛ حيث الجميع كان يشتبه بهم في قتل العم رشاد.

جلس علي بجوار تامر صامتًا ونظر إلى الأرض وظل هكذا، وبرغم أن الجميع حاول التكلم معه والتقرب إليه إلا أنه لم يرد على أحد ولم ينظر حتى، وظل هكذا إلى أن أمر الضابط أنور في اليوم التالي بالإفراج عنهم جميعًا حتى يظهر دليل إدانة ضد أحدهم.

****

عاد علي إلى البيت، وفي غرفته جلس على الأريكة حزينًا مهمومًا وفي يده سيجارة مشتعلة، وكان يجلس أمامه على السرير تامر يود لو يفرِّج عنه.

obeikandl.com

- ماذا بك يا صديقي! لقد أصبحت في حالة يُرثى لها، لمَ كل هذا الحزن؟! هل هذا سيعيد العم رشاد من موته؟! أنا لا يعجبني وضعك هذا. سأتركك الآن ولكن اعلم يا صديقي أنه عندما أخذنا العقد من الشاحنة كان هناك من يراقبنا؛ لأن الضابط أنور أخبرني أن الآثار التي في الشاحنة سُرقت كلها، إذن كان هناك من يعلم بخطواتنا ويراقبنا، ولتعلم أني سأبحث من الآن عن الذي سرق هذه الآثار؛ لأنه هو من قتل العم رشاد، على الرغم أني متأكد أنه الجزار، وإن لم يكن فالمرغني.

ثم قام تامر من مكانه وانصرف في الوقت التي كانت فيه والدته تدخل الغرفة حاملة الطعام والشاي ووضعته أمام علي ثم جلست بجواره.

- إلى متى يا بني ستظل هكذا؟ لقد أصبحت أقلق عليك؛ فأنت لم تأكل شيئًا منذ أن دخلت المستشفى.

نظر علي في عينيها وهو يدمع ثم قال بصوت هادئ.

- تعلمين هو من كان يُشعرني أني لم أخسر والدي.

كان مثلك هكذا؛ يريدني أنا، لم يكن يبتغي مني شيئًا، لقد رباني وعلمني وآواني وأطعمني، ولكني لم أستطع أن أحميه كما ظل يحميني طوال عمره، لقد ضحى بعمره لكِ أعيش، لم أكن أتمنى له أن

يموت هذه الموتة البشعة، (وهو يبكي) لقد قتلوه وقتلوا بداخلي الحياة.

(احتضنته الأم وهو يزداد في البكاء) لم يتبقَّ لي غيرك، أخشي ألا أستطيع أن أحميكِ أنتِ أيضًا.

- لا تقلق عليّ يا بني، هوِّن على نفسك؛ فكل ما حدث كان قضاءً محتومًا.

اعتدل علي ومسح دموعه وطلب من الأم أن تتركه قليلًا ووعدها بأنه سيعود كما كان، وبالفعل قامت من مكانها ولكن قبل أن تخرج وضعت أمامه خطابًا كان العم رشاد قد كتبه له.

- ما هذا؟

- هذا خطاب قد تركه العم رشاد لك قبل أن يموت؛ فهو كان يعلم أن هناك شيئًا سيحدث له.

وبعد أن خرجت، أمسك علي الخطاب وعاد للبكاء مرة ثانية ولم يتمالك نفسه حتى تساقطت الدموع على الخطاب قبل أن يفتحه.

obeikandl.com

نص الخطاب

ابني العزيز، علي.....

إذا وقع هذا الخطاب في يديك فاعلم أني الآن في رحمة الله، أي إني لم أعد حيّا بعد الآن، أنا لست خائفًا من قدري هذا؛ فلقد عشت طويلًا، ولن أتمنى كما تمنيت أن أراك بعيني تكبر أمامى يومًا بعد يوم، ولن أحلم كما حلمت بك رجلًا قويًّا تستطيع أن تحمي كل من حولك، أنا أكتب لك يا علي لأوضح لك أشياء لم تكن تعيها؛ فقد كنت صغيراً، لقد مات والداك في حريق بيتكما كما علمت، ولكن الذي لا تعلمه أن المرغني هو من أحرق هذا البيت بمساعدة من عمك الجزار، ألم تسأل نفسك لماذا لم تمُت معهم؟ لقد آثرت أن آخذك عندي وأحتفظ بك وجادلت لذلك كثيراً، ولكني كنت أضعف من أن أنقذ والديك؛ فقد كان والدك قويًّا جدًّا وكانت له سمعة كبيرة، وكان بينه وبين أخيه والمرغني مشاكل جمة، ولكني لم أكن مثلهما كما أخبرتك. بني، أنا من ربيتك، نعم كنت تعيش في بيت الجزار ولكن أنا من اهتم بك، كنت ألعب معك وأطعمك وأداويك، وكثيراً ما كنت أسهر بجوارك ليلًا عندما كنت صغيراً؛ لأنك كنت تمرض كثيراً، وهل تنسى أني من أدخلتك المدرسة وكنت أذهب معك كل يوم لأوصلك، وكثيراً ما تشاجرت مع مدرسيك من أجلك. بني، أنا لا أحكي هذا إلا لسبب واحد: أريدك أن تسامحني إذا أخطأت في حقك يومًا، وصدقني أحيانًا كنت أندم وأوبخ نفسي على أفعالي الجبانة؛ ولكن كانوا أقوى

مني والأيام أيضًا، هل تعلم أن الجزار أراد مني أن أوقع بك حتى تعود إليه راكعًا وتظل تعمل عنده مدى الحياة؟! ولكني رفضت وهددني وأصررت على رفضي. وها أنا أرد جزءًا من الدين وأدفع الثمن، وليس غاليًا في سبيلك يا علي لأنك أغلى يا بني، أرجوك سامحني حتى أرقد بسلام، واعتنِ بأخيك تامر وأمك جيدًا ولا تتركهم مهما حدث، وابتعد عن الجزار؛ لأنك إذا واجهته فلن تعيش طويلًا وأنا أتمنى لك طول الحياة يا بني.

والدك الذي عاش حياته يحبك

أخذ علي يثني الورقة بقبضته ويضغط على أسنانه ولا سيما أنه رأى قطرات دموع جافة أسفل الخطاب. وتوعَّد علي؛ توعد أنه لن يضيع دماء العم رشاد هدرًا.

****

على الجانب الآخر كان تامر يسير في الحارة في الليل المتأخر ولمح المرغني وأولاده يدخلون بيت حمدي الجزار فتوارى خلف أحد البيوت بدون أن يراه أيا منهم.

- (وهو يحدث نفسه) لماذا يأتي المرغني وأولاده إلى بيت الجزار في هذا الوقت من الليل، وما الذي يربط الاثنين ببعض. هل من الممكن أن يكونوا هم من سرقوا شاحنة المتحف؟ هل هم من قتلوا العم رشاد وهل يدبرون لفعل شيء آخر شنيع؟ لا أستبعد؛ فهؤلاء أشرار ولا يوجد عندهم أدنى رحمة، وإذا أردت أن أعرف كل ما أريده فلا بد أن أكون بينهم الآن وأسمع خطتهم وحديثهم.

فكر تامر قليلًا ثم أسرع إلى بيت الجزار من الخلف وأمسك بيده حجراً صغيراً ثم قذفه على شباك الحجرة التي كانت تسكنها دعاء.

كان ضوء الغرفة منيراً ولم يمضِ شيء حتى فتحت دعاء الشباك وما إن رأته حتى قالت بصوت منخفض.

- ماذا تريد يا تامر؟ هل حدث شيء لعلي؟

- (بصوت هادئ) لا، علي بخير، أنا أريد أن أصعد لغرفتك.

- لماذا؟

- تنحّي جانباً.

ثم اتجه تامر إلى ماسورة المياه وتسلقها إلى أن وصل إلى شباكها ودخل الغرفة.

- ماذا تريد يا تامر؟ ألا تعرف أن وجودك هنا خطر علي وعليك؟

- نعم أعرف ولكن هذه فرصة ذهبية لا أستطيع أن أفوتها.

- وما هي هذه الفرصة؟

- أنت تعلمين أن العم رشاد قد قُتل.

- نعم، ولكن والدي منعني من أن أذهب إلى هناك.

- لقد قال الضابط أنور إنه إذا لم يعثروا على القاتل فلن يبقى أمامهم سوى علي لأنه كان آخر من وجدوه مع العم رشاد، وأيضًا لقد سُرق متحف الأقصر ويريدون أن يتهموا علي بكل هذا، هل تريدين ذلك له؟

- بالطبع لا، ولكن ماذا تريدني أن أفعل.

- أنا رأيت المرغني وأولاده يدخلون بيتكم، وأنا أعلم أنه وراء كل ما يحدث. وكل ما أريده أن أتأكد من ذلك؛ لذلك أتيت إلى هنا لأستمع إلى حديثهم مع والدك وما الذي ينوون فعله، فإذا أردتِ أن تساعديني فاجعليني أقترب من مكان جلوسهم لأتنصت على حديثهم.

لم تنطق دعاء بكلمة واحدة، وفتحت باب غرفتها بعد أن اختبأ تامر خلفه ثم راقبت الطرقة ولم تجد أحدًا، وسمعت صوت الجميع في غرفة المكتب، أشارت لتامر بهدوء ليتبعها واقتربا من غرفة المكتب واختبآ في مكان استطاعا من خلاله أن يسمعا كل ما يقال بالداخل وكأنهما حاضران.

في الداخل كان الجزار يجلس على كرسي مكتبه مسندًا يده على عكازه ويقف بجانبه مباشرة عابدين وعلى مقربة منه اثنان من رجاله، وبينما كان المرغني يجلس على الأريكة – رجل جاوز الخمسين من العمر أصلع الرأس وذو شارب أسود ثقيل وعينين باردتين – وكان يجلس بجواره مباشرة ولداه التوأم، وكان عصام يجلس على كرسي مجاور لهما.

- وما العمل الآن؟

وجه الجزار سؤاله إلى عابدين الذي أجاب قائلًا.

- أن نتخلص منه، هذا هو الحل الوحيد.

- الآن، هذا مستحيل، لن أقدم على عمل هكذا وإلا فسأثبت أني من ارتكب كل الجرائم السابقة، ولا تنسَ أيضًا أن الشرطة في كل مكان في الحارة وتحركاتنا أكيد مراقبة، هذا بالإضافة إلى أن رشاد لم يمض على قتله يومان وتريدني أن أقتل علي.

كان تامر ودعاء يستمعان من الخارج في ذهول.

- ولكن ليكن في علمك أنه سيعلم أننا من قتلنا العم رشاد آجلًا أو عاجلًا، وسيأتي ليثأر له؛ لا سيما أنه كان معنا في الزنزانة لا يتكلم وظل صامتًا برغم أننا حاولنا جميعا أن نقترب منه ونتكلم معه، ولكن من الواضح أنه كان يضمر الشر ويغذيه.

هنا تدخل عصام مؤيدا.

- هذا صحيح يا أبي، أنا أعرفه جيدًا؛ فهو لن يصمت على قتل العم رشاد هكذا وأنا خائف من أن يأتي ويغدر بنا.

عقَّب عابدين:

- أنا مستعد أن أخلصكم منه.

وتابع أحد التوأمين.

-ونحن معك يا عابدين سنوقع به خارج الحارة ونتخلص منه

بدون أن يشعر أحد بما حدث.

- كفى، كفى، لن يقتله أحد، ولن يقترب منه أي منكم الآن.

أتفهمون؟

obeikandl.com

هذا ما قاله الجزار غاضبًا قبل أن يرد عليه المرغني.

- ماذا؟ هل أنت خائف عليه أم منه، ولا تنسَ أنك أول من علَّمته دروس الإجرام وسيأتي اليوم الذي يطبق عليك ما تعلمه منك، ولا تنسَ أنك طلبت منا أن نشترك معك في سرقة شاحنة المتحف ونحمِّل القضية لعلي إذا لم يتراجع ويعود إليك، وأنت من أمرت رجالك بقتل رشاد، فعلت كل هذا وتأتي الآن وتقول إننا لن نقتل عليّا الآن، وأين كان هذا الحذر والخوف قبل أن يتمادى بنا الأمر هكذا؟

- أنا أشعر أن الأمور بدأت تخرج من يدي، ولن نستطيع بعد ذلك أن نتحكم بها.

- لا تقلق يا حمدي ودع الأمر لي.

- أما كفاك ما فعلته بوالديه؟

- ما فعلناه، وليس ما فعلته، وهل تجد أن هذا هو وقت البحث في الماضي؟!

هنا سأل عصام.

- ماذا فعلت يا أبي في عمي وزوجته؟

أجاب عنه المرغني.

- أنا سأخبرك يا بني، لقد كان والد علي محترفًا جدًّا وكان ذا سمعة واسعة، ومن الواضح أن عليّا ورث ذلك عنه. وعندما كنا شبابًا كان هو يستأثر بنصيب الأسد في كل شيء، وكنا لا نستطيع أن نفعل شيئًا بجانبه، وكان الحل الوحيد لنعمل بجانبه أو حتى لنصعد عاليًا أن يختفي هو، وبالفعل ...

- حرقتم المنزل بما فيه.

- نعم.

وقبل أن يرشق عصام والده بنظراته.

- لقد كنا فقراء جدًّا يا بني، وكان هذا هو الحل الوحيد لتكونوا ما أنتم عليه الآن.

- لدرجة أن تقتل أخاك يا أبي؟! وأين كان قلبك في هذا الوقت؟! ولكن هل تعلم؟ يعجبني ذلك يا أبي (وهو يبتسم ابتسامة والده).

كان في الخارج تامر ودعاء مصدومين من وقع الكلام، بل بدأت دعاء في البكاء وهي تضع يدها على فمها، بينما في الداخل هبّ المرغني واقفًا.

- لقد ضقت ذرعًا يا حمدي، ولتعرف أني قررت أن أتخلص من علي قبل أن يغدر بنا، وجئت لأخبرك فقط، لعلّي أستطيع أن أظفر ببعض

obeikandl.com

المساعدة منك، ولكن من الواضح أنك لم تعد مثل سابق عهدك كما عرفتك.

كان تامر في غرفة دعاء قبل أن يخرج المرغني من مكتب الجزار مع ابنيه ويتوارى عن الأنظار.

في غرفة دعاء كان الاثنان صامتين، وأخذ تامر يلف الغرفة مجيئًا وذهابًا ممسكًا رأسه لا يصدق ما سمعه، وكانت دعاء تجلس على سريرها تبكي بهمس من هول الصدمة التي ألمت بها.

- ماذا أفعل الآن؟ وكيف أخبر عليّا بذلك؟ لا بد أن أذهب وأخبره قبل أن يلحقوا به ويقتلوه.

وبالفعل قفز تامر من غرفة دعاء مسرعًا بدون أن يكمل حديثه مع دعاء التي كانت ذاهلة وانطلق بحثًا عن علي.

****

في هذا الوقت كان علي يسير على كورنيش النيل حزينًا يستعيد ذكرياته ويفكر في العم رشاد وفي يده سيجارة مشتعلة، وانتهى الحال به إلى أن جلس في أحد المقاعد على الكورنيش مبتئسًا ووجهه للماء.

وبعد قليل ...
- أرى أنك تجلس هنا منذ مدة هل تنتظر أحدًا أم أنك تحب النيل؟

كان هذا صوت سارة التي أتت من المحل عندما رأت عليّا صدفة وقررت أن تأتي وتحييه، وما إن وقفت أمامه حتى لاحظت التغيير باديا على وجهه.

- هل هناك شيء يا علي؟

- (وهو يمسح دموعه ويحاول أن يعدل هيئته) لا، ليس هناك شيء (وهو يبتسم ابتسامة خفيفة) كيف حالك أنتِ يا سارة؟

- بخير، هل من الممكن أن أجلس معك.

- ومن يراقب المحل؟

- في الأصل أنا أنهيت عملي اليوم ولي صديقة تعمل معي تقف هناك الآن، على العموم اليوم لا يوجد زبائن.

وجلست سارة بجواره صامتة قليلًا ثم ...

- ما بك يا علي، لماذا أنت حزين هكذا؟

- لا شيء.

- وجهك متغير ومنذ أن جلست وأنت تنظر للنيل شارد الذهن وعيناك تدمعان ... ولا تنظر لي حتى! هل يضايقك وجودي؟

obeikandl.com

- لا، لا بالعكس؛ فأنا في أشد الحاجة إلى أن أجلس مع أحد.

- حسنًا، لماذا لا تخبرني بما يدور في خلدك، بما حصل معك.

والذي يجعلك حزينا هكذا؟

- لا أريد أن أزعجك، فنحن لم نتعود على بعضنا، وبالكاد نعرف بعضنا منذ أيام.

- (مبتسمة) أنا عكسك تمامًا، فأنا أشعر أني أعرفك منذ سنين.

- (وهو يبتسم ابتسامة خفيفة) حقًّا؟

- نعم، هيا الآن أخبرني بما يجعلك حزينًا شاردًا هكذا.

- لقد مات شخص كنت أحبه جدًّا وأعتبره في منزلة أبي، في الحقيقة لقد قُتل.

- (وهي منزعجة) ماذا؟ (وهي تربِّت على كتف علي) لم أتوقع هذا، ليتولَّه الله برحمته الآن، ولكن هل عرفتم من قتله، ومن يفعل شيئًا مروعًا كهذا؟

- الشرطة ما زالت تبحث عنه.

obeikandi.com

ظلت سارة تواسي عليّا وتروح عنه إلى أن أحس فعلًا بانفراجة، وعندما سارا معًا على كورنيش النيل شعر أن هناك أشياء في قلبه أضحت تمتلئ بالأمل بعد أن كان يظن أنه لا يوجد شيء في قلبه إلا الفراغ والظلام.

- أريد أن أسألك عن شيء يا علي؟

- وما هو؟

- أريد أن أعرف ماذا تعمل؟

ارتبك علي لثانية ثم أجاب.

- أنا أعمل في المتحف.

- آه، في المتحف هنا في المدينة.

- نعم.

- وما هو عملك بالتحديد؟

- أنا مندوب للآثار.

- وماذا عن والديك؟

obeikandi.com

- (بعد أن صمت لحظة) هل من الممكن أن نؤجل هذا السؤال لبعض الوقت.

- هل قلت شيئًا أغضبك، أنا آسفة (وبدا عليها الحزن).

- لا، لا صدقيني أنا مستمتع جدًّا بحديثك ولكني الآن لا أجد شهية للحديث؛ فما عاصرته اليومين السابقين كان وقعه أليمًا جدًّا عليّ؛ لذلك تجديني أجنح إلى الصمت قليلًا، ولكن أنتِ لا تعرفين قيمة ما فعلتِه معي اليوم؛ لقد كنت في أول الليل في حالة يرثى لها، وأنا الآن أشعر بتحسنٍ كبير، وكل هذا من صوتك، إنني كنت أحتاج لمثل هذا احتياج الصحراء للماء العذب، احتياج النحل للورد، (وهو يبتسم) كنت أحتاج وجودك، الآن لكِ أشعر أنني أعيش.

- (مبتهجة) حسنًا إذا كان الأمر هكذا، اصمت أنت وأنا سأحكي لك كل شيء عن نفسي.

ظلت سارة هكذا تتكلم وتعيد وتزيد تأخذ عليّا من همومه وأحزانه وتطير به إلى عالمها، أحس معها أنه من الممكن أن يكافح ثانية ويصنع أحبابًا وأصحابًا يستطيع أن ينعم بالحب ويسعد بالحياة، ولكن ما إن افترقا وعادت هي لبيتها سالمة تبدد كل شيء، وأحس أن هذا كله ليس له فهو مثل السمك في الماء لا يستطيع أن يخرج منه، وإلا كان هذا انتحارًا، مثله يتمتع بذاكرة حديدية لا يستطيع أن ينسى شيئًا ولا

يحب أن يغير من الماضي شيئًا، وظل علي يفكر هكذا إلى أن وصل إلى بيته ووجد هناك في انتظاره.

- أميرة!

- نعم.

- ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت المتأخر، هل تعرفين كم الساعة الآن؟

- لا تقلق فأسرتي تعلم أني سأمكث اليوم مع دعاء وعلمت منها أنك كنت حزينًا على موت العم رشاد فأردت أن آتي وأسال عنك.

- عني، أنا؟

- نعم.

- هل تودين الصعود، أنا كنت سأصعد لأجلس على سطح المنزل.

- هذه فكرة ممتازة، ستجد الآن الهواء رائعًا من فوق.

- حسنًا، من بعدك.

صعد علي وأميرة إلى السطح بعد أن أخبر والدة تامر بمكانه.

obeikandl.com

- المنظر من هنا جميل وكذلك الجو.

هز علي رأسه ولم يرد.

- كيف حالك الآن يا علي؟

- في الواقع أنا من ساعة واحدة كانت حالتي يرثى لها إلى أن قابلت صديقًا لي استطاع أن يخفف عليّ وطأة ما أشعر به.

- حقًّا، كم أحتاج أنا لمثل هذا الصديق الآن.

- لماذا؟ ما الذي يثقل كاهلك لتقولين ذلك؟

- حقًّا، هل تريد أن تسمع؟

- نعم، فأنا اليوم في حاجة لأسمع أكثر مما أتكلم.

كانت أميرة تجلس بجوار علي على أريكة فقامت هي بالرجوع للخلف وأسندت ظهرها إلى الحائط وبدأت تتحدث.

- كما تعرف فأنا مرشدة سياحية وأجيد لغتين وأستطيع التحدث بهما بطلاقة، ووالدي موظف كبير في البنك الوطني ووالدتي مفتشة ضرائب، وعندنا ما يكفي من المال ليجعلني لا أعمل أبدًا، ومن المفترض أنه إذا سألت أحدًا عن شعوري تجاه حياتي لقالوا لك هذه فتاة لا ينقصها شيء؛ تعلمت أفضل تعليم وعاشت أفضل حياة.

obeikandl.com

فتاة جميلة سيأتي اليوم الذي ستتزوج فيه من شاب وسيم وثري وتصبح حياتها نعيمًا في نعيم، أليس كذلك؟ ولكن الحقيقة أن كل هذا ليس له صلة بي؛ فأنا لست سعيدة ولا أعيش في نعيم كما يظن الكثيرون؛ فأنا تعيسة ومليئة بالخجل والعار؛ وأدَل شيء على ذلك أني دائمًا أترك منزلنا وأذهب لأمكث مع صديقاتي، وكل هذا وعائلتي لا تكترث بي.

- ولمَ كل هذا؟

- (وهي تدمع) والدي دائمًا إذا ما أتى إلى المنزل يأتي متأخرًا من إحدى سهراته متجرعًا ما يكفي من الخمر، ويظل حتى الصباح مع والدتي في شجار، يجعلان الحي كله يعلم ما يدور في منزلنا، وإذا لم يأتِ إلى المنزل تجده في منزل زوجته الأخرى الصغيرة التي تزوجها سرًا، وتجد أمي قريبة من أبي في المكان ولكنها بعيدة جدًّا عن قلبه، دائمًا أمي تتصيد له الأخطاء وتحاول أن تفتعل معه المشكلات في كل وقت وحين، ولي أخ من ذوي الحالات الخاصة لا يستطيع حتى الآن وهو في الثانية عشرة من عمره أن يستجمع كلمتين على بعضهما، أخي هذا يحتاج إلى الرعاية ولكن أبي وأمي لا يجلسان معه في اليوم ساعة واحدة، وأتيا له بممرضة عوضًا عنهما حتى ظنها أمه، وأنا لا أستطيع أن أجلس مع أي منهما ولو لدقائق، دائمًا مشغولان عني، أموري لا تعنيهم حتى لا يكترثون لأمري إذا نمت في منزلي أو نمت في منزل آخر، أصبحت أشعر أنني وحيدة لا يوجد عون لي ولا سند لا يوجد من

يفرح لأمري إذا سمع خبراً سعيدًا لي، ولا يوجد من يحزن لي إذا عرف أن شيئًا ألمَّ بي، ولا يوجد من يشاركني أفكاري وأحلامي.

(وبدأت بالبكاء)
حاول علي أن يخفف من وطأة ما تشعر به أميرة ولكنه لم يفلح ولم يعرف ماذا يقول حتى قالت هي:

- هل تعلم أني من طلبت من دعاء أن نقوم بهذه المغامرة التي

أخبرناك عنها حتى أشغل نفسي قليلًا عن هذه الهموم والمشكلات.

كنت أريد أن أسعد برفقة صديقتي المفضلة وصحبة أصدقاء جدد مثلك أنت وتامر، ولكن يبدو أن الحياة لن تسمح لي بهذه الفرصة حتى.

- لماذا؟ إذا كان من حولك أحد يسيء إليكِ فلماذا تعيدين الخطأ نفسه وتسيئين إلى نفسك؟! انطلقي إلى ما تريدين وابحثي عن سعادتك.

- ولكننا لا نستطيع أن نفعل ذلك بدونك، ومن الواضح أنك لن تأتي لظروفك؛ لذلك نحن لن نستطيع أن نذهب خاصة أن تامر لن يفعل ذلك بدونك.

- ومن قال لكِ إنني لن آتي.

- (ابتهج وجهها) حقًّا يا علي! صدقًا ما تقول!

- (ابتسم علي عندما رأى ابتسامتها) نعم.

وفجأة من شدة الفرحة التي كانت تغمر أميرة احتضنت عليّا ولكنها سرعان ما تركته واعتذرت، ولكنه كان مندهشًا وحاول أن يخفي خجله.

- (والخجل يعتري وجهه) حسنًا لن يبقى إلا أن تحددي اليوم الذي سنذهب فيه، والآن من الأفضل أن تعودي إلى منزل دعاء حتى لا تقلق عليك.

- صحيح، من الأفضل أن أذهب الآن، شكرًا لك يا علي.

- حسنًا، لا تشكريني إلا عندما أوصلك إلى المنزل سالمة.

ونزل علي معها وتوجها إلى بيت الجزار ليوصل أميرة إلى حيث تمكث مع صديقتها دعاء.

****

في الصباح التالي كان الرائد أنور يجلس في مكتب العميد في مديرية الأمن.

- هل توصلتم إلى شيء يا أنور؟

- لا لم نصل إلى شيء حتى الآن سيادتك، وما زلنا نبحث.

- هل تمزح معي؟! عمَّ تبحث؟ لقد وقع هذا الشهر أكثر من ثلاث سرقات وجريمة قتل وتخبرني أنك ورجالك لم تصلوا إلى شيء؟!هل نحن نعيش في عالمهم الآن ونسن قوانينهم أو ماذا؟ أخبرني يا حضرة الضابط؟

- في الحقيقة، نحن لم نجد بصمات حتى الآن في أماكن الجريمة، ولكن نحن نعرف مَن وراء هذا كله وكل ما ينقصنا هو الدليل القاطع، وأطمئنك يا سيدي أننا نراقبهم طوال الوقت ولن يمر الكثير إلا وترى سيادتك أننا طهّرنا المدينة من هؤلاء الأشرار.

- أتمنى ذلك يا أنور، عد الآن إلى عملك وأتمنى أن أسمع أخبارًا جيدة؛ فأنت تعلم أن المديرية كلها في قمة الغضب مما يحدث هنا، واعلم أن أمامك أسبوعًا واحدًا فقط وأريد أن أسمع منك في ذلك الوقت أنك قد ملأت السجون بهؤلاء المجرمين.

- حسنًا أيها العميد، أعِدك بذلك.

وقام أنور من على كرسيه وانطلق خارجًا وهو يتوعَّد بأنه لن يمر هذا الأسبوع إلا وهم تحت سلطان العدالة.

في الصباح المتأخر جلس علي وتامر في البيت على الطاولة وأمامهم كوبان من الشاي وفي يد كلٍّ منهما سيجارة مشتعلة.

تامر محدثًا عليًا.

- كيف علمت كل هذا؟

- لقد ترك لي العم رشاد خطابًا ذكر لي فيه كل شيء تستطيع أن تقراه إذا أردت.

- لا داعي فلقد عرفت كل شيء، لا تعلم حجم المرارة التي شعرت بها في هذا الوقت وأنا أسمع حديث هؤلاء الملاعين.

- ولكن هل تعرف إذا كانوا قد اكتشفوا أمرك فأنت لا محالة مقضيّ عليك.

- ولكن كيف تخبر أميرة أنك ستذهب معها في حين أننا نعد لانتقامنا؟

- هذا ما أريد أن أحدِّثك عنه.

- حسنًا، تكلم.

obeikandl.com

- أنت تعرف أنك أخي وصديقي، ولو ذهبنا إلى الجزار أو المرغني لنقتص منه على ما فعله بي فأنت تعلم أننا لن نخرج أحياء؛ هذا كمثل الصياد الذي يدخل عرين الأسد أعزل.

- هل تخبرني أننا لن نفعل شيئًا بعد كل هذا؟!

- أنت الذي لن تفعل شيئًا، لن تعرض نفسك ولا أُمَّنا للخطر.

- ولماذا لا تريدني في هذا يا صديقي؟ نحن دائمًا معًا في كل شيء.

- اسمع يا صديقي أنا من قُتل والداي، أنا من أتاح الفرصة لهم

ليقتلوا العم رشاد، إنهم يسعون خلفي ولا أريدهم أن يسعوا خلفك؛ أنت ما زالت لديك أمك، أمنا، ولا ينبغي أن نقدمها لهم بأيدينا.

- ولكن ...

- (مقاطعًا) لا يوجد، لكن بالنسبة لي أنا أريد أن أعيش وأسعد، ولكن نحن وُلدنا بذاكرة حديدية لن نستطيع العيش بسهولة مع الماضي إذا لم نطهره؛ لذلك لن أستطيع أن أمضي قُدُمًا بدون أن أنهي حساباتي القديمة، أما أنت فستأخذ كل المال الذي نحفظه وسترحل مع أمنا، وإذا كان هناك في العمر بقية فسألحق بكما ولا تقلق.

صمت تامر ولم ينطق بكلمة واحدة وهو ينظر بحزن إلى علي.

- الآن كل ما أريدك أن تفعله أن تذهب إلى فريد وتعطيه المال الموجود في غرفة النوم.

- لماذا؟

- لقد أوصيته أمس على سيارة جيب سيجلبها لنا لنذهب بها إلى منطقة الآثار.

- هل تود الذهاب فعلًا في هذه الظروف؟

- حقيقة، أنا ذاهب فقط من أجل أميرة؛ إنها فتاة تحمل كثيراً من الحزن ولم أستطع أن أقول لها لا، أحسست أني أريد أن أدخل البهجة إلى قلبها، وهناك شيء آخر؛ لا أعرف ما الذي يجذبني ويجعلني أود الذهاب إلى هناك.

- حسنًا، لك ما تريد.

ثم قام تامر من مكانه وأخذ المال وبينما هو يفتح الباب وجد أميرة ودعاء في وجهه صاعدتين السلم، فأدخلهما تامر وانصرف على أمل العودة في وقت غير بعيد.

دخلت أميرة ودعاء وجلسوا بجوار علي الذي كان جالسًا في مكانه لم يتحرك.

- (قالت دعاء بصوت هادئ) هل أخبرك تامر بما حدث أمس؟

- (وهو يبتسم) نعم، أعرف كل شيء.

- وماذا تنوي أن تفعل؟

- لن أفعل شيئًا.

- ولكنهم سيأتون إليك ليقتلوك، (وهي حزينة) هل ستقتل والدي يا علي؟ هل ستنتقم منه؟

- هل وجدتِ أحدًا قتل والده قبل ذلك؟! لا أريدك أن تفكري في ذلك بعد الآن (ثم وضع يده على رأسها) ولا تقلقي لن يأتي أحد ليقتلني.

- لقد سمعتهم يقولون ذلك.

- إنهم يعلمون أن الشرطة تراقبهم وأنها في كل مكان، ولن يستطيعوا الأقدام على فعل كذلك، كل ما أريده منك الآن أن تخبريني كيف سنذهب إلى المكان الذي تودون الذهاب إليه.

ردت عليه أميرة مبتهجة.
- لقد أحضرت معي الكتاب وسأخبرك الآن بكل شيء.

في هذه الأثناء كان الجزار في منزل المرغني وخلف كل واحدٍ منهما رجاله.

- لقد أتيت اليوم لأخبرك يا مرغني ألا تُقدِم على عمل متهور نضيع فيه كلنا.

- لا تقلق يا حمدي، أنا أعرف كيف أدير أموري.

- هل تعلم أن الشرطة في كل مكان داخل الحارة ويقومون كل يوم بالدخول إلى البيوت وتفتيشها، وأخذوا إلى الآن على الأقل نصف رجال الحارة ومن بينهم رجالي للاستفسار عما حدث مؤخراً.

- أعلم، وأخبرت رجالي بالتريث قليلًا، ولن أُقدِم على ما نويت العزم عليه حتى يهدأ الجو من حولنا.

- حسنًا، سأذهب الآن لأعود إلى عملي؛ فأنا ما جئت إلا لأحذرك فقط.

- لا، لن ترحل بدون أن تجلس معي وتأخذ ضيافتك.

****

الطريق إلى إسنا.

في الليل خرج على من منزله مشعلًا سيجارته ودخل المدينة وظل يجوب شوارعها يخرج من شارع ويدخل في آخر ويركب الحنطور

ويستقل أتوبيسًا آخر وهكذا، حتى اطمأن أنه قد ضلَّل مَن كان يراقبه، وانطلق علي إلى مكان قد اتفق عليه مع تامر حيث ستكون هناك السيارة الجيب التي تستقلها أميرة ودعاء ... ووصل علي إلى السيارة، وبعد أن ركب ...

- أين تامر؟

التفتت إليه دعاء التي كانت تركب في الكرسي الأمامي بجوار صديقتها أميرة ثم قالت:

- لم يأتِ حتى الآن.

- هل تنتظرون منذ وقت طويل؟

ردت عليه أميرة ....

- لا، كما قلت لقد ذهبنا إلى صديقك فريد وأخذنا منه السيارة ووضعنا فيها الحقائب التي تحوي الأشياء التي سنستخدمها ولم يبقَ على انتظارنا هنا أكثر من ساعة.

- ساعة!

- لا تقلق؛ فهذا المكان خالٍ ولم يمر فيه أحد منذ أن وقفنا، ولا يوجد لهذه السيارة أرقام؛ لذلك لا خوف من شيء.

obeikandl.com

- أما أنا فخائفة جدًّا.

قالت هذا دعاء قبل أن يسألها علي.

- لماذا؟

- لست خائفة بهذا المعنى بل متشوقة لما سنفعله اليوم.

دعمتها أميرة.

- وأنا أيضًا، ولكن أخبرني يا علي كيف ستتعامل مع الحارس الذي يجلس هناك، هل ستقتله؟

- بالطبع لا؛ فأنا لم أقتل في حياتي أحدًا.

- وما العمل إذا كانوا اثنين؟

- لا تقلقوا، أيا كان العدد سنخدِّرهم ونضعهم بجانب المعبد.

- هذا رائع، طريقة سهلة وستحافظ على أرواحهم.

في هذه الأثناء دخل تامر السيارة فسأله علي على الفور.

- هل يتعقبك أحد؟

- (وهو يأخذ أنفاسه) لا.

obeikandl.com

طلب علي من أميرة أن تنطلق إلى المعبد وعندما قاربا الوصول طلب منها الوقوف على مسافة بعيدة من المعبد وأخرج منظارًا وأخذ ينظر منه.

- هذه المنطقة توجد بها ثلاث معابد، أي واحد منهم؟

أجابته أميرة باهتمام.

- هذا الذي ترى عواميده على شكل زهرة اللوتس.

- نعم أراه هناك؛ فهو قبالتنا مباشرة.

تدخَّل تامر قائلًا.

- ولكن هنا المنطقة مضيئة جدًّا!

أجابته أميرة أيضًا.

- نعم، فأنت في منطقة آثار تجدها مضيئة من الخارج والمعابد مظلمة من داخلها.

- أنا أرى أمامي حارسين يجلسان أمام نار مشتعلة بجوار المعبد مباشرة. (وهو ينظر يمينًا ويسارًا بمنظاره) ولا أرى غيرهم.

هل هؤلاء فقط؟

obeikandl.com

- نعم، كالمعتاد.

طلب علي من الجميع في عجلة أن ينزلوا من السيارة، وبعد أن أخرج حقيبة من الخلف طلب منهم أن يبدلوا ملابسهم، وطلب منهم أن يرتدوا القفازات ويلبسوا الأقنعة، وطلب من دعاء وأميرة أن تنتظرا حالما يشير إليهما من أمام المعبد، وانطلق علي وتامر من خلف المعبد، واقتربا من الحراس الذين كانوا يجلسون أمام نار مشتعلة ويشربون بعض الشاي وهم يستمعون إلى بعض الأغاني القديمة من راديو صغير وُضع بجانبهم، اقتربا منهم ثم قاما بتخديرهم ولم يبدِ الرجال أي مقاومة، وسرعان ما غطّوا في النوم، وحملاهم داخل المعبد وقاما بالتلويح إلى أميرة التي أتت مسرعة وأوقفت السيارة أمام المعبد ونزلت هي ودعاء، وأخرجوا الحقائب من الخلف ودخلوا إلى حيث ينتظرهم المجهول.

في الداخل ...

بدأ الجميع يضئ الكشاف الذي في يده ويسلط الضوء على الحائط، ووضعت أميرة الحقيبة التي في يدها على الأرض وأخرجت الكتاب القديم وأخذت تتفحصه مع تامر الذي إنضم لها قائلًا .

- ما أروع هذه الرسومات!

- هذه ليست مجرد رسومات وُضعت على الحائط؛ هذا تاريخ أمة

بأكملها.

- لقد خطرت لي فكرة رائعة: سأدخل التاريخ مع هؤلاء أنا أيضًا.

سأبني لي معبدًا وأسجل على جدرانه تاريخي وأدفن به.

هنا تدخلت دعاء مستهزئة.

- يا لها من فكرة!

انضم لهم علي وهم يتفحصون الكتاب، وقالت أميرة وهـي تشـير إلى غرفة مقابلة:

- طبقًا للخريطة التي في الكتاب لا بد أن نبحث في هذه الغرفة.

- هل أنتِ متأكدة؟

- نعم، هيا.

وهناك.

- عمَّ نبحث الآن؟

- الغرفة التي نريدها تحتنا الآن، وكل ما نريده أن نجد مدخلًا لها.

- وكيف ذلك، وماذا يقول الكتاب عنها؟

obeikandl.com

- في الحقيقة لم يذكر كيف سنصل إليها؟

- وكيف سندخل إذن؟

- في الحقيقة لا أعلم.

ظل علي والجميع ينظرون إلى الأرضية من جميع الأركان ويتفحصون الحائط ويقلبون في الكتاب يمينًا ويسارًا علَّهم يحصلون على شيء، وقام علي يتحسس الحائط بيديه إلى أن وقف عند نقطة معينة، وما لبث أن فوتها إلى أن عاد إليها مسرعًا.

- انظروا هنا!

واجتمع الجميع.

- ماذا؟ هل وجدت شيئًا؟

- نعم، ضعوا أيديكم في هذه المنطقة ستجدون كل الرموز هذه بارزة، إلا هذا الرمز ستجدونه محفورًا للداخل.

- (وتامر يتحسس الحائط) نعم، هذا صحيح ولكن ما معنى هذا؟

- ألا يشبه هذا الرمز شيئًا رأيتموه قبل ذلك؟

وبينما دعاء تسلط الضوء على الرمز.

obeikandl.com

- إنه يشبه مفتاح الكتاب!

- نعم، هذا صحيح.

قالت له أميرة مبتهجة.

- عبقري يا علي، ولكن كيف عرفت ذلك؟

- أنا أستطيع التعرف أكثر على الأشياء عندما أتحسسها، هذا ما فعلته بالكتاب عندما أمسكته في أول مرة، وفعلت نفس الشيء مع الحائط.

عادت أميرة لتحضر مفتاح الكتاب ثم أعطته لعلي، وما أن وضعه في مكانه في الحائط حتى اهتزت الأرضية التي يقفون عليها وانكشف رويدًا رويدًا ممر محفور بجانب أرجلهم، ليقودهم إلى حيث ما ينتظرهم بالأسفل.

وقف الجميع في ذهول عندما رأوا الحفرة في باطن الأرض، وتقدَّم علي ببطء مسلطًا الضوء داخله، ولكن ما كان يراه هو السلم الذي يقود لأسفل والظلام الدامس.

- سننزل ببطء، حسنًا.

وتبعته أميرة.

- سأكون خلفك مباشرة.

obeikandl.com

ثم قالت دعاء.

- توخَّ الحذر يا علي.

ونزل علي ببطء يتحسس الحائط والجميع خلفه، حتى أصبحوا داخل الغرفة، وأخذوا يوجهون الكشافات في كل مكان إلى أن وجد تامر شعلات على الحائط، فأخرج ولاعته من جيبه وأشعلها حتى أصبح المكان كله مضاءً وكأنه في وضح النهار، وهنا ذُهل الجميع مما وقعت أعينهم عليه ولم ينطقوا بكلمة واحدة؛ فقد كانت الصناديق الذهبية في كل مكان، صناديق وتماثيل ذهبية وكل ما تشتهيه الأنفس.

- هل يعقل هذا؟

سأل تامر وعلى وجهه ابتسامة بلهاء وأجابته دعاء مذهولة:
- ألم أخبركم أننا سنجد كل هذا.

وأكملت أميرة مندهشة.

- لقد كانت فكرتي، ولكن كيف ستُخرجون كل هذا؟

كان علي يتجول في المكان ببطء مذهولًا مبتسمًا يرى الأشياء ويفحصها، يمسك هذه ويترك تلك، يتجول هنا وهناك، إلى أن اقترب من تابوت ذهبي مرصع بالجواهر يكسوه الغبار، فأخذ ينفخ هذا الغبار عنه حتى أتت أميرة من الخلف.

- من الواضح أن هذا هو تابوت زوجة الكاهن.

- حقًّا يا له من تابوت مروع! هذا يزن الملايين من الجنيهات.

- أخبرني الآن كيف سنأخذ هذه الأشياء؟

- نجلب الحقائب ونملؤها.

- حسنًا، ولمَ تنتظرون.

- فعلًا، لقد نفد منا الوقت، هيا سنصعد جميعنا، سأخدِّر رجال الحراسة ثانية، وأنتم تأتون بالحقائب وتبدءون بملئها.

- (وتامر سعيد) وهو كذلك.

وأخذ الجميع يصعد إلا أميرة التي تلكأت حتى صعد الجميع وظلت وحدها في الأسفل، ثم أسرعت إلى الكتاب وأخذت تقلب صفحاته إلى أن استقرت على واحدة ورأت الرسومات التي تحويها، ثم انطلقت إلى التابوت وأخذت تبحث عن مكان معين، وظلت تتحسس حتى وجدته ووضعت به مفتاح الكتاب، ثم أصدر التابوت صوتًا خفيفًا، ثم فُتح الغطاء ورأت عيناها ما كانت تتمنى أن تراه؛ فهذا ما كافحت من أجله، وهذا ما تكبدت له كل العناء، لقد ذكر الكاهن أنه وضع المحلول الأحمر التي استخلصته الطبيبة من الزهرة (لواتا) في تابوتها،

obeikandl.com

وكل هذا من أجل أن يريح البشرية منه على أمل منـه في اعتقـاده أن الآلهة في العالم الآخر سيتخلصون منه ويريحون البشـرية مـن لعناتـه، وما إن سمعت أميرة صوت أحد الأقدام حتى قامت بقفل التابوت.

- (بعدما كان تامر يدندن من الفرحة) لماذا لم تصعدي معنا لتحضري لك حقيبة؟ ليكن في علمك أن الوقت يسرقنا والأولى أن نسرع ونسرقه نحن (وهو يضحك).

- حسنًا سأصعد لأجلب واحدة.

- لا داعي؛ فها هي دعاء قد أتت لكِ بواحدة.

ملأ تـامر حقيبتـين وصـعد ليضـعهما في السـيارة، ومـا إن تـوارى عـن الأنظـار حتـى أسرعـت أمـيرة إلى التـابوت مـرة أخـرى ونـادت عـلى صديقتها.

- أسرعي يا دعاء؛ فأنتِ تحتاجين إلى أن تنظري إلى ذلك.

اقتربت دعاء وهـي تنظـر بدهشـة بعـد أن كشـفت صـديقتها غطـاء التابوت مرة ثانية، ورأت مومياء محنطة لامرأة جميلة، ولكن دهشتها زادت عندما رأت زجاجة صغيرة بها محلول أحمر عـلى صـدر المومياء وبين يديها.

- ما هذا الذي أراه؟

obeikandl.com

- نعم، (وأميرة تمد يدها لتأخذ الزجاجة) هذا هو المحلول الذي أنهى حياة هذه الجميلة، هذه هي القوة الخارقة.

- إذن القصة حقيقية كما ذكرها الكتاب.

- نعم، بكل حذافيرها، هل تعلمين ماذا قال الكتاب عن هذه المومياء الجميلة؟ لقد قال إنها ماتت ولكن هناك روح تحرسها، إنها ليست بعيدة عنها، إنها متصلة بها كذراعها وساقها، إنها تنتظر الانتقال الذي يوقظها ويحييها، إنها لم تمت تمامًا.

- (ودعاء قلقة) ماذا يعني هذا؟ هل هي لعنة؟

- (وأميرة تضحك بصوت عالٍ) لا يا صديقتي، هذه خزعبلات الفراعنة، أنتِ تعرفين أنهم يُعطون الموضوع أكثر من حقه، (وهي تنظر للزجاجة) ولكن هل تعرفين لقد كلفني هذا غاليًا، لقد جعلني أتذلل لهذا المجرم حتى يرضى ويأتي معنا، لقد قلت له إني بائسة يائسة من حياتي وإني ... وإني ... حتى أحس كأني مثله ورضي بالمجيء.

هل تعلمين أني احتضنت هذا المجرم؟ (وهي تشمئز بوجهها).

- (ردت دعاء غاضبة) أميرة! ألا تعلمين أنه أخي أيضًا، ولا أقبل أن تقولي عليه مثل هذا؟

- هو ليس أخاك وأنتِ تعرفين ذلك.

كان علي قد سمع الحديث بأكمله، وأوقف تامر في طريقه حتى يستطيع السماع بحرية، وما إن انتهيتا من حديثهما حتى نزل علي متلصصًا واقترب منهما وخطف الزجاجة من يد أميرة، وما إن أدارت وجهها حتى صفعها على خدها.

- إذا كنت أنا مجرمًا فالأولى أن أتعامل معكِ بلغة الإجرام، هل تعلمين ماذا سأفعل بك؟ سأحبسك هنا حتى تموتي خنقًا.

دافعت عنها دعاء.

- لا يا علي.

- (وأميرة تبكي خائفة) لا لن تفعل.

وعندما حاولت أن تجري ناحية السلم وجدت تامرًا قد اعترض طريقها ودفعها بقوة إلى حيث كانت تقف.

- لا يا علي، هذه صديقتي.

وصرخت أميرة مرة وأخرى.

- ماذا، هل اكتفيتِ، أنتِ تعلمين أننا هنا في الفضاء ولا يوجد غير الحارسين النائمين بالخارج، هاك ما سأفعله، يكفينا ما قام تامر بأخذه، في الحقيقة هذا كثير علينا، وكما يقول المثل من السهل أن

obeikandi.com

تسرق فيلًا أبيضَ ولكن من الصعب أن تُخفيه، بصراحة أنا لا أعلم كيف سنصرف كل هذا، والآن سنخرج وتظلين هنا وحدك.

(وعندما حاول الخروج)

- (أمسكت دعاء عليّا من ذراعه) أرجوك يا علي أنا لا أستطيع العودة بدونها.

وظلت دعاء وأميرة تتوسلان للعفو عن الأخيرة وأن يسامحها على ما فعلته وأن ما فاز به كان أكبر من ألمه عندما خدعته بسوء نيتها، إلى أن أنهى تامر الموقف.

- حسنًا، ستصعد معنا، ولكنها لن تأخذ شيئًا من الذهب.

واتفق الجميع على ذلك، وصعدوا وأغلقوا باب المقبرة بعد أن أطفئوا الأنوار في الأسفل، ولم يتركوا شيئًا وراءهم، وانطلقوا عائدين أدراجهم حيث أزف بهم الوقت.

قاد علي السيارة بأقصى سرعته محاولًا الخروج من هذه المنطقة، وفجأة سمع الجميع صوت سيارات الشرطة من كل مكان، ولكن كيف ذلك؟ وكيف علموا بوجودهم في هذا المكان بعد كل هذا العناء في تضليلهم؟ ولكن لا مفر، فقد ظهرت سيارات الشرطة في كل مكان وحاصرتهم، ولم يجد علي مفرّا ألا أن يهرب كما فعل صديقه تامر بعد

أن رآه يفعل ذلك، وظلت دعاء وأميرة في الخلف خائفتين، وانطلق علي جريًا ورجال الشرطة تلاحقه.

دخل علي في قلب المنطقة الأثرية والحراس يلاحقونه إلى أن وصل إلى طريق مسدود ولم يجد أمامه إلا معبدًا ضخمًا فدخله على أمل أن يجد مهربًا منه، وظل علي يجوب الغرف والطرقات مسرعًا ولكنه توقف فجأة مذهولًا عندما رأى أنه قد وصل إلى طريق مغلق، فوقف وأخذ يحدث نفسه.

- (وهو يلهث من التعب) يا إلهي، ما العمل الآن؟ هل ستكون هذه نهايتي؟ هل أنا من حفر قبره بيديه؟ (وهو يسمع رجال الشرطة قريبين منه يبحثون عنه) لن يبقى الكثير وسيأتون ليقبضوا عليّ.

ولكن لن أسمح بذلك؛ لأن هذا لو حدث فستكون هذه نهايتي، ولكن ما العمل الآن؟

كان علي يتمتم قلقًا بهذه الكلمات وهو يفتش في جيوبه علَّه يعثر على شيء يساعده في محنته هذه، ولم يجد شيئًا إلا زجاجة صغيرة، وظل ينظر إليها.

- (وهو يحدث نفسه) إنها المحلول الأحمر الذي أخذته من أميرة، ولكن هل أشربه، ما هذا، من المحتمل أنه سيقتلني، لا لن يقتلني؛ فقد سمعت أميرة تدعي أنها قوة خارقة حتى ولو لم يكن كذلك فما

هو أسوأ من الذي ينتظرني السجن خلف القضبان؛ فأنا لا أعرف ما الذي سيفعله هذا المحلول ولكني أعرف ما الذي سيحدث لي في السجن.

وعلي يجادل نفسه ظهر أحد الرجال أمامه من بعيد وصاح لأصدقائه وما إن اقتربوا منه حتى كان علي قد شرب الزجاجة كلها.

ترنَّح علي في الحال وأخذ يصرخ بأعلى صوته (أحشائي تتقطع) وابتعد عنه الحراس خائفين إلى أن ظل علي يتخبط من حائط إلى حائط حتى سقط على الأرض، وأخذ يتلوى مرات ومرات إلى أن سكن جثة لا تتحرك.

في البداية كان الحراس يخافون الاقتراب منه إلى أن دخل من ورائهم أنور ولا يرى شيئًا في الظلام إلا طفيفًا.

- هل أمسكتم به؟

رد عليه أحد الحراس وهو ذاهل.

- أظن أنه قد فارق الحياة.

- (وأنور يقترب من علي مسرعًا) ماذا تقول، كيف ذلك؟

obeikandl.com

- لقد كان في يديه زجاجة من الأرجح كانت سمّا، وعندما اقتربنا منه كان قد شربها كلها، هذه هي. (وهو يشير إلى الزجاجة بإصبعه)

- ألم تستطيعوا أن تمنعوه عن ذلك؟

- لقد سبقنا في شربها.

- حسنًا، اذهبوا الآن وأحضروا لي إضاءة واستدعوا سيارة الإسعاف في الحال.

ذهب رجال الحراسة جميعهم، واقترب أنور من الزجاجة الصغيرة الفارغة وأمسكها بمنديل، ثم نظر لعلي ونظر للزجاجة.

- لقد قرأت في التاريخ أن المحاربين هم من يشربون السم عندما تقترب نهايتهم حتى لا يهانوا أمام أعدائهم، نعم أنت تمتلك مهارات المحاربين يا علي، ولكن لا تمتلك صفاتهم؛ لذلك ستظل دائمًا في عيني وعين المجتمع مجرمًا لا شيء آخر.

لم يمضِ وقت طويل حتى أتت سيارة الإسعاف وتأكد الطبيب أن عليًا قد مات وأمر مساعديه أن يحملوه إلى السيارة ليمكث في ثلاجة المستشفى حتى تنتهي الإجراءات ويتم دفنه.

استطاع رجال الشرطة القبض على تامر، وهناك في القسم كان يقف الأخير بجوار دعاء وأميرة في مكتب الضابط أنور.

- (بعد أن جلس أنور على كرسيه) كانت ليلة صعبة بالنسبة لكما.

أليس كذلك؟

ولم يرد أحد.

- حسنًا، في الواقع إنها كانت كذلك بالنسبة لك يا تامر.

لم يرد أيضًا تامر.

- ارفع رأسك وأخبرني، هل هناك ما تود قوله عن هذا الحادث؟ لأنك لو لم تتكلم فسأحمِّلك وزر الجرائم السابقة كلها؛ فمن الأولى لك أن تتكلم.

صمت تامر ولم يرفع رأسه حتى من الأرض التي ينظر إليها.

- حسنًا، أنا يوجد عندي ما أريد أن أخبرك به، هل تعلم ماذا حدث لصديقك؟

رفع تامر رأسه إلى الضابط أنور في ترقب.

- لقد مات، هل سمعت؟ ماااااااات.

صرخت دعاء ووقعت على الأرض مكانها وأخذ تامر يتمتم بكلمات لا أحد يفهمها وهو يدمع، ثم انقض على أنور وأمسكه من ياقته بعنف

وهو يصرخ، أنت تكذب، قتلتموه، أنت تكذب. ظل الاثنان في شد وجذب حتى سمع الحراس الصراخ وأتوا لينقضوا على تامر وأوقعوه أرضًا وظلوا يضربونه حتى أغمي عليه بين أيديهم.

****

في المستشفى كانت والدة تامر تبحث عن علي وهي منزعجة بادية عليها علامات الذعر من أثر ما سمعته من أحد رجال الجزار أن الشرطة قد قبضوا على تامر وقتلوا عليّا، وها هي تبحث بين الغرف والطرقات حتى وقع نظرها عليه ووقفت مكانها وهي تدمع ثم اقتربت ببطء منه وهو ممدد على الفراش ميتًا، ولم يكن بجواره أحد، وجلست على فراشه بجانبه تتلمسه.

- (وهي تبكي) لماذا يا علي؟ لماذا يا بني؟ ألم تخبرني أنك ستظل بجانبي لأنه لم يتبقَّ لك غيري؟ لماذا فارقتنا، (وهي تهزه بهدوء)استيقظ يا علي، استيقظ يا بني؛ فأنا لا أرى دمًا عليك، كيف قتلوك؟

(وهي تزداد في البكاء) هل هذه مزحة حتى لا يستطيعوا الإمساك بك، أم تريد أن تعرف مدى حبي لك يا بني، حسنًا يا علي، (وهي تضمه إلى صدرها) أنا أحبك جدًّا يا بني وأخوك تامر أيضا ... لا تتخلَّ عنا، فلقد أتيت مسرعة إليك قبل أن أذهب إلى تامر وأطمئن عليه، هيا انهض فأخوك ينتظرنا.

وظلت هكذا إلى أن أقدم دكتور المستشفى من الخلف الذي كان يراقبها من فترة ومعه ممرضة وقاما بإخراج والدة تامر بعد صراخ وتشبث عنيفين منها، وفي الخارج كان الجزار واقفًا مع ابنه، أتى ليرى عليّا، وما إن رأته حتى انقضت عليه وهي تصرخ وتنعته بأنه القاتل وأن ما حدث لعلي كان بسببه هو، وظلت تبكي وتصرخ حتى أتت ممرضة من الخلف وحقنتها بمهدئ فسقطت نائمة، فحملوها ووضعوها في أحد الأسرة حتى ترتاح من أثر الصدمة والجزار واقف يراقب كل هذا.

****

في اليوم التالي كان فريد عائدًا إلى بيته حين فوجئ بالضابط أنور وفرقة كبيرة من الشرطة تنتظره هناك.

- (وهو قلق) ما الأمر يا أنور باشا؟ هل حدث شيء ما؟

- نعم يا فريد، لقد تلقينا اتصالًا يخبرنا أنك تخبئ آثار المتحف التي سُرقت ذلك اليوم في جراج منزلك.

- هذا مستحيل، لا يمكن أن يحدث هذا.

- حسنًا، نحن أمام منزلك وهذا جراجك، لنلقِ نظرة.

واقترب فريد ببطء من الجراج وهو ينظر لرجال الشرطة بتوجس وقام بفتح الجراج ولكن ما هذا، فقد قام رجال الشرطة بالانقضاض عليه وكبّلوه بالحديد عندما رأى الجميع الآثار وهو واقف مذهولًا من فجاعة الصدمة.

وفي قسم الشرطة.

- ما رأيك يا فريد في هذا؟

- أقسم لك يا أنور باشا أنا لا أعلم شيئًا عن هذا، إنه كمين وُضع لي.

- ومن هو الذي فعل ذلك بك؟

- لا أعلم، ولكن المؤكد أن لا يد لي في هذا، صدقني.

- كيف تريدني أن أصدق يا فريد أن لا علاقة لك بكل هذا ونحن وجدنا الآثار داخل بيتك؟! اسمع يا فريد، إذا أردتني أن أقف بجانبك في هذه القضية، أخبرني من هم شركاؤك ومن قام بسرقة شركة الجوهرة؟ وأين العقد؟ ساعدني إذا أردتني أن أساعدك.

وقف فريد مستسلمًا بعد أن عرف أنه لا فائدة من الحوار مع الرائد أنور وأنه سيسجن لا محالة، ووقف مكانه صامتًا حتى مل أنور منه وأمر رجاله بالزج به في السجن.

في الليل استيقظ علي في المستشفى فجأة وقام من مكانه يحاول أن يتأكد من المكان ويشعر بوجوده؛ فالمكان بارد حوله وصامت غير أنه كان عارياً لم يكن يغطيه شيء سوى ملاءة خفيفة ... وقف علي مكانه وهو يشعر أن هناك شيئًا غريبًا قد حدث له، وبدأ ينظر إلى جسده الذي شُحن بالقوة وتقسم بالعضلات البارزة في كل مكان من جسده، وأحس أن هناك طاقة غريبة تسرى بداخله ولكن ما هذا؟ ومن أين ذلك وأين أنا؟

جلس علي مكانه وهو مذهول عندما تذكر ما حدث، هل فعل المحلول الذي شربته هذا بي، نعم فأنا أتذكر أني سقطت على إثره، هل ظنوا أني ميت وأتوا بي إلى هنا، نعم، فمن الواضح أن هذه ثلاجة للموتى بلا شك، ولكن ما هذا، كيف مت واستيقظت مرة ثانية، وما الذي أشعر به؟ فأنا عقلي يتذكر سريعًا ويجيب بشكل أسرع ولا أحتاج لأن أبذل أدنى مجهود، ولكن كل هذا لم يؤثر على فرحة علي عندما رأى جسمه هكذا متناسقًا ممشوقًا وأسرع وأخذ قطعًا من الملابس كانت خلف الباب ثم خرج متلصصًا يريد أن يخرج من المستشفى، وهو في إحدى الطرقات سمع صوتًا قادمًا إلى ناحيته، وكان هذا الصوت حديث إحدى الممرضات تتكلم مع صديقتها، ومرتا بدون أن تريا عليًا؛ فلقد كانت حركته أسرع من تفكيره واختبأ عاليًا مقتربًا من السقف، ثم نزل وتسلل خارج المستشفى بدون أن يراه أحد.

دخل فريد الزنزانة التي يمكث فيها تامر وأخبره بما حدث له وواساه لموت صديقه وحاول التخفيف عنه، ولكن تامر كان صامتًا أغلب الوقت لم يرد إلا بالقليل؛ فلقد عزم على أن يثأر لصديقه ويثأر لنفسه ويشفي صدره من هذه النار التي تجتاحه.

وعلى الجانب الآخر في السجن النسائي كانت أميرة تجلس مضطربة مفزوعة وتصيح من وقت لآخر وتدعي أنها ترى أشباحًا وترى امرأة تسعى وراءها تريد أن تتخلص منها وأن هناك صوتًا في أذنها؛ صوت مزعج مخيف. وها قد ساء بها الحال، ولكن الحراس ظنوا أنها تفتعل هذه القصص والحكايات عندما أحست أن نهايتها قد أزفت، هذا في الوقت الذي كان يجلس فيه الجزار في مكتب الضابط أنور يساومه على ما فعله معه عندما أخبره بتحركات علي ومكان وجوده طالبًا العفو عن ابنته، وبالفعل عادت دعاء مع والدها إلى بيتها حالتها مذرية ولكنها سالمة بفضل الاتفاق الذي أبرمه والدها.

****

دخل علي منزله في وقت متأخر من الليل بدون أن يراه أحد، ولم يجد أحدًا في البيت فقام بخلع ملابسه كلها وأخذ يستعرض جسمه أمام المرآة، ولكن هناك شيء استوقفه وجعله يقترب كثيراً، ما هذا الذي يراه، لقد اختفت الندبة التي في وجهه والتأمت، ليس هذا فقط بل أصبح وجهه ورديًّا وسيمًا منتعشًا بالحياة، ولم يصدق علي ما رآه

فصرخ بشدة من فرحته، ولكن هذه الصرخة آذته وجعلته يمسك رأسه عندما أحس بصفير في رأسه ما لبث أن اختفى واستعاد توازنه عندما جلس على الأريكة لدقائق، ثم قام علي وأخذ حمامًا وبدَّل ملابسه، وفي هذه الأثناء سمع علي صوت الباب الخارجي يُقفل وهو في غرفته فقام بالاختباء خلف الباب ظنًّا منه أنها والدة تامر فأحب أن يفاجئها، ولكن هؤلاء كانوا رجلين كلٌّ منهما يحمل سكينًا، وما إن أصدرا صوتًا حتى علم علي أنهم غرباء فخرج ليواجههم.

وببطء خرج علي، وما إن رآه الرجلان حتى وقفا مكانهما.

- حسنًا يا شباب، هل لي أن أعرف من أنتم وماذا تريدون من هذا المكان؟

رد عليه أحدهم باستهزاء.

- جئنا نتخلص من سيدة هذا البيت وما دمنا وجدناك هنا فسنتخلص منك أيضًا.

- ألا تجد أن كلامك هذا أكبر من حجمك.

- لنرَ ذلك أيها الوسيم.

واقترب منه هذا الشخص حاملًا سكينه وحاول أن يصيب بها عليّا ولكن عليّا بكل بساطة كان يتفادى طعناته، وظل هكذا يستهزئ

بالرجل الذي أمامه حتى خدعه الرجل بقبضة قوية في وجهه أرجعته للخلف، ولم يقع أرضًا ولكن القبضة آلمته وأحس بالغضب، فابيضت عيناه فجأة واختفت الحدقة منها، وظهرت له أظافر طويلة حادة، وأحس بتغييرات غريبة في جسده ... واقترب علي من الرجل ببطء وهو يبتسم مثل الحية، والرجل أمامه أصابه الشلل عندما رأى عليّا هكذا ... أمسك علي الرجل من رقبته وغرز فيها أظافره ثم تركه، وسقط الرجل على الأرض سريعًا، وبقي لا يستطيع أن يأخذ نفسه؛ فقد كانت رئته تختنق بطيئًا وظل في هذا العذاب حتى فارق الحياة.

عندما رأى الآخر كل هذا حاول أن يجري مسرعًا، ولكن عليّا كان الأسرع عندما أخذ السكين من على الأرض وسددها في قدمه فسقط على الأرض، واقترب منه علي ونزع السكين من قدمه وهو يصرخ من الألم ورماها بعيدًا، ثم مد علي يده إلى الرجل ليوقفه والأخير مستسلم مذعور ولم يجد مفرًا ألا أن يمد يده لعلي هو الآخر.

- (بصوت رفيع حاد قال له علي) هل تريد أن تعيش؟

- (وهو يقف أمام علي الذي يمسك يده) نعم، أرجوك لا تقتلني.

- حسنًا، أخبرني من الذي دفعك إلى هذا؟

- المرغني، المعلم المرغني هو من أوصانا بذلك؛ لقد أعطانا المال

وأخبرنا أن نأتي ونقتل هذه السيدة التي تسكن هذا البيت بعد أن أوصلنا إليه وأخبرنا أن ابنا لها قد قُتل والآخر في السجن.

- إذن، فهم قد قبضوا على تامر؟

- لا أعرف من هذا، وكل ما أعرفه قد قلته لك، أرجوك أن تعفو عني كما أخبرتني.

- وهل أنا أخبرتك بذلك؟

- نعم، أرجوك هيا اترك يدي.

وبينما الرجل ينظر إلى يده التي كان علي يغرز فيها أظافره منذ مدة ولم يشعر الرجل بها.

- (وهو يشعر بدوار خفيف) ما الذي تفعله هذا؟

- لا أعرف، كل ما أعرفه أنني أشعر بنشوة لذلك.

- (والدوار يزداد عليه) أنا ... أنا ...

وسقط الرجل على ركبتيه بينما أغمض علي عينيه منتشيًا وهو يمرر السم من داخله إلى جسد هذا الرجل.

obeikandl.com

ترك علي يد الرجل فنام على جنبه وهو يختنق ويتلوى حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

ابتعد علي عن الرجل وبعد دقائق عاد علي إلى هيئته الطبيعية ووقف مذهولًا مما رآه، وجلس على الطاولة يفكر في هذه اللعنة التي لحقت به.

****

وفي اليوم التالي.

كان الضابط أنور يجلس مع بعض علماء الآثار يطالبونه بالكتاب الذي سُرق من رئيس بعثتهم العالِم الذي كان عاكفًا عليه لفك رموزه... هذا في الوقت الذي أتى فيه حارس مسرعًا يطالب أنور بالذهاب إلى السجن النسائي لأن أميرة قد قتلت نفسها، وبالفعل أنهى أنور الجلسة مع علماء الآثار ووعدهم بأنه سيعيد كل شيء يخصهم ولكن بعد إنهاء الإجراءات فقط، وانطلق إلى هناك حيث يقف الجميع متراصين حول جثة أميرة يترحمون عليها.

- ماذا حدث هنا؟

ردت عليه إحدى السجينات.

- لقد كانت تصرخ وتصيح بأنها ترى أشباحًا وأشياء مثل ذلك، ثم أتت مندفعة من مسافة بعيدة وارتطم رأسها بالحائط وسمعنا الصوت وكأنه انفجار.

- ألم يفعل أحد ذلك؟

- لا لم يقترب منها أحد، بل هي من آذتنا، كانت تأتي في الليل وتُصدر حركات غريبة وأمسكت صديقة لنا وظلت تشد شعرها إلى أن فرّقنا بينها وبيننا وجلست بعيدًا وكأنها تتوعدنا، ولم ننم الليل بأكمله خوفًا منها.

- (وهو ينظر إلى الحارسة) وأنتم لم تلاحظوا شيئًا من ذلك؟

- لاحظنا، ولكن كنا نظن أنها تدَّعي ذلك خوفًا من عقابها الذي ينتظرها.

كان أنور يجلس على ركبتيه ينظر إلى الجثة في صمت، ثم أمر الحراس أن ينقلوها إلى المستشفى حالما يذهب ويخبر رؤساءه بذلك.

****

في ثلاجة المستشفى كان هناك عاملان بداخلها يتشاجران بصوت هادئ ...

- وما العمل الآن أيها الغبي؟

- أنا أرى أننا من الأفضل أن نخبر المدير بذلك.

- وبما سنخبره، هل نقول له إنه في شهر واحد ضاع منا جثتان.

- أنت تعلم أنه لم يكن لنا يد في اختفاء الجثة الثانية.

- ولكن لنا يد في الأولى، وإذا أخبرنا أحدًا عن الثانية التي اختفت أمس سيُفتح تحقيق طويل ولن نسلم من الأولى.

- حسنًا، وما العمل الآن؟

- الصمت، حتى نعرف من وراء اختفائها.

- وإذا لم نجدها وحاول أحدهم إخراجها لدفنها.

- حالما تنتهي الأوراق سنجد حلًّا لذلك.

****

في نفس اللحظة كانت والدة تامر تخرج من المستشفى مستندة على عصام الذي أتى ليعيدها إلى البيت كما أخبرها، وبالفعل دخلا الحارة ولكنه لم يتوقف بسيارته أمام بيتها بل وقف أمام بيته، الأمر الذي

oberkanal.com

جعلها تسأله عن ذلك فطلب منها النزول لأن هناك من ينتظرها في الداخل.

وفي الداخل.

- لماذا أتيت بي إلى هنا يا سمير ... أما كان من الأولى أن نعود إلى البيت مباشرة، فأنا متعبة يا بني.

كانت تتحدث واقفة مع سمير الذي جلس على الأريكة مبتسمًا وهو يشير لها بأن تنظر خلفها، وما إن أدارت رأسها حتى وجدت عليّا، وما أشد الفرحة التي اعترتها حتى كاد قلبها يخرج من صدرها، وظلت أمامه لا تستطيع أن تتكلم وعلى وجهها دهشة كبيرة جدًّا.

- (مبتسمًا) ماذا؟ هل ستقفين هكذا بدون أن تضميني إليك أو أي شيء من ذلك؟

وبالفعل اقتربت الأم من على ببطء وهي تتلمسه وعيناها تدمعان.

- ولكني رأيتك في المستشفى.

- (يضحك) ميتًا!

obeikandl.com

- ولكن هذا لم يحدث، صحيح، فأنت الآن حي أمامى سليم، ووجهك، والندبة، (وهي تحتضنه) أنا سعيدة جدًّا بوجودك يا بني، أنت لا تعرف كم آذاني فراقك.

- أعلم ذلك؛ فأنتِ أمي.

- ليت تامرًا كان هنا أيضًا.

- لا تقلقي، سيكون معنا قريبًا.

- ولكن كيف ذلك؟

قالت الأم هذه الكلمات وهي تجلس على الأريكة بجوار سمير وعلي.

- لقد علمت من سمير أن الشرطة قبضت عليه وغدًا سأقوم بتهريبه.

- ولكن يا بني ...

- (مقاطعًا إياها) لا يوجد، لكن يا أمي سيخرج تامر من محبسه ولكن كل ما أريده منك أن تتركي الحارة والمدينة كلها إذا أردتِ أن نبقى معًا.

- أتركها؟! و إلى أين أذهب ؟

- أختك تسكن في الإسكندرية، أليس كذلك؟

obeikandl.com

- نعم.

- أريدك أن تذهبي إليها، سأعطيك المال الذي ادخرناه أنا وتامر وسنلحق بكِ حالما أحرره، (بينما ظلت الأم صامتة) أرجوكِ أمي إذا أردتِ أن نكون معًا ثانية فهذا هو الحل الوحيد.

- لقد وجدتك للتوِّ يا بني! تريدني أن أفقدك ثانية، وتريدنا أن نظل هاربين مدى الحياة؟!

- لن تفقديني بعد الآن، ولن نعيش في هرب دائم، أعدك؛ فلا يعلم أحد بأني ما زلت حيًا، وفي الإسكندرية سنعيش حياة جديدة ومعنا الكثير من المال، إنها فرصة لا تعوض يا أمي.

- (وهي تبتسم) كما تريد، ولكن أخبرني أولًا أين الندبة التي كانت في وجهك؟

- سأخبرك بكل شيء، ولكن دعينا نأكل أولًا.

****

في اليوم التالي عندما انطلقت سيارة الترحيلات وبداخلها تامر وفريد إلى المحكمة كان يراقبها علي وسمير، وكان كلٌّ منهما على دراجة نارية، ولم يمر كثير حتى ظهرت شاحنة أخذت تعترض طريق سيارة الترحيلات وأخذت تضيّق عليها الخناق، حتى وقفت السيارة فنزل من

الشاحنة رجلان ووقفا أمام سيارة الترحيلات رافعًا كلٌّ منهما سلاحه في وجه من بداخلها، وقام علي من الخلف بفتح القفل وأخرج تامرًا وفريدًا اللذين تفاجآ، وما إن انتهوا حتى ركب الرجلان الشاحنة وغادرا من اتجاه وركب علي وتامر وسمير وفريد الدراجات وانطلقوا في اتجاه آخر حتى وصلوا إلى منطقة صحراوية ثم أوقفوا الدراجات ونزلوا من عليها.

- (تامر وهو يقفز فرحًا) أنا لا أصدق عيني، هل نحن فعلًا خارج السجن؟

رد عليه سمير وهو يخلع خوذته.

- نعم أنت خارج السجن.

- سمير.

- (وهو يعانقه) نعم يا صديقي.

ثم نظر تامر إلى علي.

- ألن تخلع أنت أيضًا خوذتك لنشكرك على صنيعك.

obeikandl.com

وعلي يخلع خوذته ببطء وتامر وفريد يراقبان بينما سمير يبتسم، وقف الاثنان في ذهول ولا سيما تامر الذي اقترب من علي ببطء ووضع يده على وجهه.

- إذن فأنت لم تمت؟

- كيف سأموت وأنا أقف أمامك؟! لقد كانت خدعة، (وهو يغمز بعينيه)

جذبه تامر بقوة ناحيته وعانقه ثم تركه فجأة.

- ولكن لماذا قال لنا الضابط أنور أنك مت؟ وأين الندبة التي كانت في وجهك؟

- ستعرف كل شيء يا صديقي، ولكن أريد منك أولًا أن تنتظر قليلًا.

واقترب علي من فريد وعانقه واطمأن عليه، ثم تحدث مع سمير قليلًا، وما هي إلا دقائق حتى أخذ سمير وفريد دراجة نارية وانطلقا عائدَين بعد أن ودعا تامرًا.

- أين يذهب فريد وسمير؟

- سمير سيخفي فريدًا ثم يذهب إلى صديق له يعمل في قسم الشرطة ليعرف منه مكان الكتاب القديم الذي أخذوه في هذه الليلة.

obeikandl.com

- لماذا؟

- حسنًا لنجلس أولًا وسأخبرك بكل شيء.

وفي الفضاء الطلق ظل علي يخبر صديقه بما حدث معه من لحظة افتراقهما في هذه الليلة إلى لقائهما الآن.

- (بعد أن أنهى حديثه) لماذا أنت صامت هكذا؟

- لا أعرف ماذا أقول، ولكن الذي رأيته منذ هذا اليوم يُثبت ما تقول، ولكن ما الذي سيحدث إذا علم أنور أنك حي؟

- لن يعلم.

- وكيف ذلك؟

- لأننا سنغادر إلى الإسكندرية.

- وأمي؟

- غادرت ونحن نتحدث.

- وهل تظن أن أنور سيتركنا هكذا؟

- وماذا سيفعل؟! لن يستطيع فعل شيء.

obeikandl.com

- ومتى سنرحل.

- غدًا يا صديقي.

- ولمَ لا يكون الليلة.

- الليلة عندي مشوار صغير لا بد أن أنهيه ثم نرحل سويًّا.

وفي الليل جلس علي وتامر وفريد في منزل سمير الذي وصل لتوِّه من الخارج وفي يده العشاء، وبعد أن جلس الجميع على المائدة قال لهم سمير.

-الشرطة الآن في كل مكان في الحارة يمشطونها بحثًا عن فريد

وتامر.

قال له فريد وهو يفرش الطعام.
- آمل ألا يعثروا علينا ونحن جالسين هكذا.

-لا تقلق يا صديقي، فأغلب الناس يعلمون أني أعيش مع أسرتي ولا يعلمون أن لي منزلي الخاص، وبالتالي فقليل من يعلم بأمر هذا البيت.

تدخَّل علي في الحديث قائلًا.
- من الأفضل لك يا فريد وأنت يا سمير أن تتركا الحارة الآن وترحلا بعيدًا.

- وأنتم ماذا ستفعلون؟

- تامر سيذهب إلى والدته في الإسكندرية، وأنا سألحق به بعد أن أنهي شيئًا صغيراً.

- أنا لن أرحل بدونك.

هنا سأل فريد.

- وما هو هذا الشيء يا علي؟

أجاب سمير نيابة عن علي ....

- يريد أن يذهب إلى الجزار الليلة.

وأكمل علي.

- والمرغني أيضًا.

فسأله فريد متعجباً.

- وحدك؟!

- سآتي معك ولن أرحل بدون أن تأتي معي.

قال هذا تامر قبل أن يدعمه فريد قائلًا.

- وأنا أيضًا.

obeikandl.com

- لماذا تحاولون أن تؤذوا أنفسكم؟! فالشرطة تبحث عنكم في كل مكان.

- مستحيل.

- اسمع أيها الغبي ... أنا لم أتكلف عناء تهريبك أنت وفريد من مشكلة لتضعوا أنفسكم في أخرى أكبر منها، وثانيًا إذا أتيتم فستعيقون عملي. ولكن إذا أردتم أن تساعدوني حقًّا فاذهبوا مع سمير وأحضرواالكتاب من بيت عالم الآثار الذي أخذه؛ فأنا أحتاج إليه بشدة. ما هو قولكم الآن؟

وبعد صمت قليل.

- حسنًا سنذهب مع سمير لنحضر الكتاب وننتظرك عند الساقيةالمهجورة.

- (وهو يبتسم) وهو كذلك.

****

في الليل المتأخر كان المرغني يجلس على مائدة الطعام يتناول العشاء مع ولديه التوأم .... بينما تضع الخادمة باقي الطعام.

- هل أعاد مرزوق البضاعة التي سرقها؟

obeikandl.com

هنا رد عليه أحدهم.

- نعم، كان هذا بالأمس.

وبينما الأخ الثاني يضحك سأله المرغني:
- لماذا تضحك؟

- لا شيء، لقد تذكرت فقط ما كنا نفعله به ونحن نعاقبه.

- هيا أخبرنا وأعطِ الطعام نكهة؛ لأني لا أعرف لماذا أجده مختلفًا اليوم.

- نعم يا أبي ... لقد لمست هذا أنا أيضًا.

أيَّد الأخ الأول كلام والده بينما تابع الثاني حديثه.

- بعد أن أدخلناه المخزن ضربه أخي وسقط على الأرض وظل يزحف للخلف، اقتربت منه وفي يدي ماء نار وعندما رآه كادت عيناه تخرجان من مكانهما وهو يتوسل ويبكي لكيلا نقتله.

- وهل قتلتموه؟

- بالطبع لا، لو كنا قتلناه لكان قد استراح، ونحن لا نريده أن يستريح.

obeikandl.com

- وماذا فعلتم؟

- لقد شوهنا وجهه فقط ليظل يتذكرنا طوال حياته.

- (وهو يبتسم) بعد هذا العمر الطويل وكل ما جمعته أنا غير قلق، هل تعرفون لماذا ...لأني أجد أمامي نسختين مني.

في هذه الأثناء دخل عليهم علي من باب المطبخ ووقف أمامهم.

- للأسف يا زعيم لن يبقى منك أي نسخة بعد اليوم ... كم أنا حزين لذلك.

فزع الجميع عندما رأوا عليّا، وعندما حاولوا الوقوف أشار إليهم علي بيديه ليجلسوا ثانية.

- (المرغني في ذهول) علي ... أنت حي؟!

- أعتقد ذلك، ولكن هل تعلم، لقد كنت أظن أنك سترحب بي بطريقة أفضل من هذه.

- كيف دخلت إلى هنا، وكيف عبَرت من رجالي في الخارج؟

- لا تحاول أن تركِّز على ذلك؛ فأنت تعلم أن لي طرقي الخاصة.

تدخَّل أحد ولديه قائلًا.

- ماذا تريد يا علي، أنت تعلم أننا نستطيع أن نقتلك هنا ولـن يسـمع عنك أحد.

- هل تعلم أن هذا هو السـبب نفسـه الـذي جعلنـي آتي اليـوم؛ فأنـا أيضًا جئت لأقتلكم في بيتكم بدون أن يسمع بكم أحد.

رد عليه المرغني بثقة.

- أنـت تتـوهم، لـن تسـتطيع فعـل شيء في بيتـي؛ لأن رجـالي يملئـون المكان، وصيحة واحـدة سـتجدهم حولـك ومعهـم أسـلحتهم الناريـة، وإذا أردت أن تختبر ذلك، تقدَّم خطوة واحدة.

- ومن قـال لـك إني سـأتحرك مـن مكـاني ولـو لخطـوة واحـدة؟ أنـتم ستموتون الآن بدون أن أقترب منكم.

- (وهو ينظر للمرغني الذي ينظر للطعام) نعم، إنه هو.

- هل وضعت لنا السم؟

- ولكن ليس أيّ سم؛ إنه مني، من داخل جسدي (وعلي يُسقط بعضًـا من قطرات السم في فمه، والمرغني وابناه ينظران مذهولين).

سقط أحد التوأمين على الأرض بعدما شعر بدوار عنيف، ولحقه أخوه الذي ظل يتقيأ كل ما أكله، والمرغني ينظر إلى كل هذا وهو يمسك الطاولة بكلتا يديه.

- أرجوك يا علي، اعفُ عن أبنائي، اقتلني أنا ولكن هم لا.

- وهل أنت رحمت أحدًا قبل ذلك؟ هل رحمت أمي وأبي؟ هل

رحمتني أنا؟ ولماذا لم ترحم والدة تامر الضعيفة أو حتى تامرًا، وغيرهم؟ ولماذا لم يرحمني ولداك عندما شوها وجهي في الماضي؟ ... لقد فات الأوان يا زعيم.

سقط المرغني على الأرض وهو يتلوى من شدة الألم وهو يحاول أن يمد يده لابنه الذي كان يختنق.

- هل تعرف ما الذي يفعله هذا السم ... إنه يدخل على أمعائك ويقطعها كما يفعل الموس الحاد، ثم يصعد على رئتيك ويخنقها رويدًا رويدًا، إنه يعذبك ويريك لذة الألم الحقيقية.

كان المرغني يحاول أن يصل إلى أحد أبنائه زحفًا وما إن وصل إليه حتى كان ابنه هذا قد فارق الحياة ... في هذه اللحظة لم يحتمل المرغني المنظر ولم يحتمل الألم فصرخ صرخة قوية سمعها أحد رجاله؛

مما جعل عليّا يغادر قبل أن يراه أحد ويُحرم من مشاهدة المرغني وهو يتعذب قبل أن يموت.

****

في بيت الجزار كان عابدين يغلق المخزن من الداخل بعد أن ودع رجاله ليعودوا إلى بيوتهم، وما إن أدار رأسه حتى وجد عليّا في وجهه.

- (وهو مذهول) علي!

- نعم أيتها الغوريلا، هل تتذكرينني؟

- (وهو يمسك عصا حديدية كانت بجواره) ولكني سمعت أنك مت.

- إذن فأنت مريض وتحتاج لأن تكشف على أذنك.

- (وهو يقترب من علي ببطء) هل تعلم لقد كنت حزينًا عندما سمعت خبر قتلك.

- ولماذا أيها الضخم؟

- (وهو يرفع العصا ويسدد على رأس علي وهو يصرخ)لأني كنت أريد أن أقتلك بنفسي أيها الوغد.

لكن عليّا تفادى الضربة بسهوله وتراجع إلى الخلف، ولكن هذا لم يثنِ عابدين الذي أقدم ناحيته بسرعة وأخذ يسدد ضربات متتالية إلى علي الذي كان مرنًا وهو يتفادى هذه الضربات.

- حقًّا، أنا لا يعجبني أداؤك هذا يا عابدين ... الرجل العجوز يستطيع أن يفعل أفضل من ذلك.

وبينما عابدين منهك أغضبه كلام علي فرفع يده عاليًا وهو يحاول أن يصيب عليّا، ولكن الأخير أمسك يده بقوة ووقف خلفه وأمسكه من رقبته وهو يغرز أظافره في رقبته ببطء.

أحس عابدين بوخزة خفيفة في رقبته، وحاول أن يفلت ولكن عليّا كان أقوى من هذه الغوريلا عندما أحكم قبضته وجعله لا يتحرك.

- (وعلي يهمس في أذنه) يقولون إن الأفعى عندما تتمكن من فريستها تثبتها هكذا وتجعلها لا تتحرك ... هل تعرف لماذا؟ أنا سأخبرك، حتى تستمتع وهي تنفث السم في جسد ضحيتها.

ترك علي عابدين الذي سقط على ركبتيه مغمض العينين بعد أن أصابه الدوار ولكنه كان ضعيفًا لدرجة أنه لم يحتمل السم في جسمه وسقط على الأرض صريعًا.

فتح علي باب المكتب على الجزار الذي كان جالسًا على كرسيه صامتًا منتظرًا قدوم علي وأمامه مسدس على مكتبه.

دخل علي وأغلق الباب بروية ثم وقف في منتصف الغرفة.

- أرى أنك لم تفاجأ بوجودي مثل الجميع.

- لقد كان الشك يراودني دائمًا في أن تكون هذه هي نهايتك.

- وهل كنت تريد نهاية لي أفضل من ذلك؟ كنهاية والدي مثلًا.

- نعم كنت أتمنى لك نهاية أفضل من ذلك ولكن ليس كوالدك. لقد أحببتك كثيراً يا علي، وكم تمنيت أن تكون ابنًا خالصًا لي. كنت أشعر معك دائمًا بالأمان ولا سيما بعد أن تقدم بي العمر هكذا، ولم أتوقع يومًا أن أغدر بك ولكنك دائمًا كنت تنظر لي كأنك تنتظر هذا اليوم، دائمًا كنت تظهر لي الجانب الصلب داخلك، أما الباقون فكنت تتعامل معهم بجانبك الطيب، وكنت تخاف عليهم وتضحك وتُشعرهم بأنك موجود لحمايتهم.

- وكيف أكون موجودًا لحمايتهم وأنا لم أستطع أن أحمي العم رشاد من قبضتكم أو تامرًا أو حتى والدته.

- الغدر، الغدر يا علي، ألم تلاحظ ذلك؟ فهم لم يستطيعوا أن يواجهوك، كان الجميع يحاولون أسرك وإخضاعك لمشيئتهم ولكنهم

في الحقيقة كانوا يخافونك وأنا منهم، ولو لم نكن كذلك لما كنا قد حاولنا قتل والدك قبل عشرين سنة مضت.

- لماذا تقول هذا الكلام الآن يا جزار؟

- لتعلم أن هذا الحساب بيني وبينك، أما أبنائي ...

- لا تقلق فهم لا يعلمون بوجودي ولن يعلموا بذلك.

- شيء أخير أريدك أن تعلمه عن والدك.

- وما هو؟

- والدك ما زال حيّا يا علي!

هنا صدم علي وكادت عيناه تخرجان من رأسه.

- (وقلبه يخفق بقوة) ماذا هذا الذي تقوله، هل تلعب بأعصابي؟

- هذه هي الحقيقة يا علي ... في أيام شبابي كنت أعيش في بيت رشاد، وفي يوم حريق بيتكم كنت أجلس وحدي وفجأة سمعت أحدهم يطرق الباب، وعندما فتحت الباب وجدت والدك حيّا ولكنه كان مصابًا إصابات بليغة ومصبوغًا بالفحم ورائحته تفوح بالدخان.

obeikandl.com

- (والصدمة ما زالت تؤثر عليه) وأين هو الآن، وأين والدتي؟ هيا أخبرني.

- لا أعلم، أقسم لك أني لا أعلم عنه شيئًا، لقد أخبرني أن والدتك لم تستطع أن تنجو، وأخبرني أيضًا أنه سيذهب بعيدًا ليستعيد عافيته ثم يعود ليأخذك ويعتني بك بعد أن أوصاني بالاعتناء بك إلى أن يعود؛ لأنه لم يعرف من فعل هذا به.

- وهل تريدني أن أصدق هذا، وهل تريد أن تقول إن والدي تخلى عني بهذه السهولة، وإنه حي طوال هذه المدة ولم يفكر يومًا في السؤال عني، أنا لا أصدق كلامك هذا.

-هذا ما حدث، وأردت أن أخبرك به ولك الحرية في أن تصدق أو لا.

صمت علي لثوانٍ ... ثم تابع:
- أمامك مسدسك، لماذا لا تحاول قتلي به؟

- فكرت كثيراً وحاولت ولكني كما أخبرتك اتضح لى فعلًا أني أحبك مثل أولادي وأكثر، وأنا من ربيتك، ومهما كنت مجرمًا قاسي القلب فأنا أيضًا أب وأعرف الحب، وأعرف أيضًا أن الوقت الذي يتحدى فيه الابن الأب فلن يعيش منهم إلا واحد، وقد اتخذت قراري أن تعيش أنت.

ابتسم الجزار ابتسامة طيبة ثم أمسك المسدس وزوده بكاتم الصوت ثم صوب المسدس على رأسه، ولم تفارق ابتسامته لعلي الذي آثر أن يخرج من الغرفة ويقف خلف الباب حتى لا يرى عمه وهو يطلق النار على نفسه، وسقط على مكتبه وتناثرت الدماء حوله وعلي في الخارج متألم من سوء حظه وصعوبة اختياراته.

****

في صباح اليوم التالي ذهب علي إلى الساقية المهجورة فوجد الثلاثة ينتظرونه هناك.

- (وفريد يعطي الكتاب لعلي) هذا هو الكتاب الذي تريده، أليس كذلك؟

- نعم، شكرًا لك يا فريد.

- هل ستخبرنا بما فعلته الليلة الماضية؟

- بالتأكيد، دعونا نجلس فأنا أحضرت معي بعض الطعام، وسأحدثكم بكل شيء ونحن نأكل.

وبعد فترة وبينما علي يكمل حديثه.

- (قاطعه تامر) انتظر لحظة، هل تقول إن الجزار أخبرك قبل أن يقتل نفسه أن والدك حي ولم يمُت في حريق بيتكما؟

- نعم، قال ذلك وكنت مندهشًا مثلك تمامًا.

- وهل ترك لك الجزار شيئًا يدلك عليه؟

- لا، ولا أعرف شيئًا عنه ولا الجزار أيضًا.

فسأله سمير مستغربًا.

- ولكن إذا كان والدك حيّا طوال هذه الفترة فلماذا لم يأتِ إليك ليراك ولو لمرة واحدة.

- لا أعرف ... ولكن ما دمت عرفت أنه حي فسأحاول البحث عنه وأنا أشق طريق حياتي.

في هذه الأثناء وقف فريد.

- حسنًا يا علي، من هنا نقول إن هذه ستكون هي النهاية.

- لماذا يا صديقي، فأنت معك العنوان الذي سنمكث فيه في الإسكندرية وتستطيع أن تأتي إلينا في أي وقت تشاء، (وعلي يمد يده إليه ويعطيه ظرفًا به مبلغ من المال) تفضل يا فريد.

obeikandl.com

- ما هذا يا علي؟

- هذا مبلغ صغير يساعدكم في طريقكم.

- (وهو يحاول أن يعيد الظرف) أنا لن آخذ هذا يا علي، فنحن معنا ما يكفي.

- البحر يحب الزيادة، خذه يا صديقي، فما فعلته أنت وسمير معي لا يقدَّر بمال.

قال له سمير:
-لا تقل هذا يا علي فنحن أصدقاء وهذا واجبي.

- حسنًا، سترحلون الآن ولكني سأنتظركما قريبًا.

وبعد أن ذهب سمير وفريد قال تامر لعلي.

- ونحن أيضًا من الأولى لنا أن نذهب الآن.

- نعم سنذهب يا صديقي ولكن هناك من أريد أن أودعه قبل أن أرحل.

- ومن هو؟

- حالًا، ستعرف.

obeikandl.com

رن على جرس البيت وإذا بفتاة صغيرة تفتح الباب.

- هل سارة في البيت؟

- نعم هي في الداخل.

- هل من الممكن أن تخبريها أن عليّا صديقها في العمل يقف خارجًا.

- حسنًا، لحظة واحدة.

وبعد قليل أتت سارة مندهشة من مجيء علي ووالدتها تعقبها قائلة:

- تفضل يا بني.

- شكرًا يا سيدتي، أنا آسف على هذه الزيارة المفاجئة ولكني سأسافر الآن وأردت أن أخبر سارة شيئًا بخصوص المحل الذي نعمل فيه.

- حسنًا، تفضل وتحدث بالداخل.

- سامحيني، فأنا معي صديق ينتظرني وأنا لا أحتاج سوى دقائق معدودة.

- حسنًا يا بني، لك ما تريد.

ودخلت الأم والفتاة الصغيرة وتقدمت سارة إلى علي وهي متفاجئة.

obeikandl.com

- أين الندبة التي في وجهك يا علي، وكيف أصبحت وسيمًا هكذا؟

- هذا موضوع طويل جدًّا ولا أستطيع شرحه الآن؛ لأني لا أملك الوقت الكافي لذلك.

- وما الذي يمنعك؟

- لقد أتيت اليوم لأودعك قبل أن أرحل.

- ترحل! إلى أين؟

- (وهو يمد يده إلى سارة بخطاب) هذا سيفسر لكِ كل شيء؟

- يفسر ماذا ... وما دمت سترحل لماذا أتيت؟

- أتيت لأخبرك أني أحببتك منذ اليوم الذي رأيتك فيه ولكن كان عندي الكثير مما يمنعني أن أخبرك بذلك.

على عكس ما توقعه علي فلقد استقبلته سارة بابتسامة مشرقة عذبة.

- أعلم ذلك، ولكن أنت سترحل الآن، بما يفيد ذلك.

- هذا الخطاب الذي في يديك سيوضح لكِ كل ما حدث في حياتي.من الممكن أن تصدقيه وتقبليه ومن الممكن أن تتجاهليه وتمزقيه.

obeikandl.com

- وماذا تأمل يا علي؟

- آمـل وأنـت تقـرأين هـذا الخطـاب أن تعلمـي أني عشـت حيـاة استثنائية، وأتمنى من هذه اللحظة أن أحيا حياة طبيعية، ستجدين عنواني الجديد في هذه الورقة، وسأنتظر ردك آجلًا أو عاجلًا.

- سيكون عاجلًا وخاصة لقد أصبحت وسيمًا وهذا شيء لا أستطيع تأجيله.

عانق علي سارة ثم أخذ يبتعد عنها وهي مبتسمة ثم وقف فجأة.

- هل تتذكرين أنك أردتِ قدَرًا مميزًا في أول يوم تقابلنا فيه؟

- نعم أتذكر ويبدو أنه قد تحقق.

- وماذا ستفعلين إذا علمتِ أن قدرك هذا أصبح ساميًّا؟

صمتت قليلًا ثم قالت له مبتسمة.

- لا تقلق ... فأنا فتاة تعشق السم.

obeikandl.com

تمت

وانتظروا الجزء الثاني

obeikandl.com

obeikandl.com

"لا تسجن معرفتك وبادل كتبك"

القراءة هي الحياة، فنحن نقرأ لنتعرف على خبرات وحكايات الآخرين، نقرأ لنتعلم شيء جديد، لنتعرف من قرب على عوالم قد لا نعرف عنها شيء، لذا صديقي القارئ لا تسجن معرفتك وبادل كتبك مع الآخريين.

فلا تجعل هذا الكتاب يقف بين يدك وحدك، فمن خلاله قد تكون أستمتعت، وتذوقت متعة القراءة، وقد تكون تعرفت على شيء جديد، فلا تبخل عن من حولك بهذه المتعة.

موقع دار الكتب
"نحن نحترم الكتاب"

obeikandl.com

obeikandl.com

إصدارات موقع دار الكتب:

1) خواطر قلب في زحمة الحياة.
2) ليلة في فيينا
3) آة يا قرة عيني
4) توني بلير-سيرة ذاتية
5) اول الفرح
6) مملكة الشياطين
7) سر الظل الخفي
8) سماحة
9) حقيقة الخديعة
10) السماء والآيات الكونية
11) المسجر المبسط في أنساب الحسن والحسين ج1
12) المشجر المبسط في أنساب الحسن والحسين ج2
13) المشجر المبسط في أنساب الحسن والحسين ج3
14) الشاطر حسن
15) صاحب المقام
16) إيران الخميني شرطي الغرب
17) رياح القبور
18) ومضات
19) قصائد في عشق النساء
20) الفوضى العالمية.. من العصور الامبراطورية للتنظيمات السرية
21) الذين أوتوا الحب

obeikandl.com

22) كلام لن يفهمه غيرك
23) فيرجينيا سيكريت
24) مدينتنا غير الفاضلة..إرحلي
25) ومضات من الماضي
26) طال الرنا
27) حرية وكرامة
28) حوار مع النفس
29) كارمن
30) ومضات من الماضي
31) رياح القبور
32) الفرنسين والشرق
33) اغتيال رفيق الحريري..
34) البحر الميت وكفة برج الميزان
35) العمر لحظات
36) آية الله الخميني بين الثورة و الطغيان.
37) قبل أن أموت.
38) فتاة شرقية.
39) كاتيا.
40) شمس.
41) التعلم النشط.
42) نبضات مغترب.
43) رأيت الشيطان.

obeikandl.com

44) حل قضية الجبر والاختيار وقضايا آخرى.
45) لوزة قطن.
46) حياة وحنين.
47) رحيق العمر.
48) عواطف.
49) الوهم.
50) الاعجاز العلمي في القرآن الكريم.
51) تاريخ مصر الفرعونية.
52) ديوان البت سعاد.
53) الكفايات المهنية للتعليم ما قبل الجامعي.
54) الموعد
55) اذا لم تزد على الحياة شيئا كن انت زائد عليها
56) عائدون من بين الانقاض
57) -حذاء جديد
58) حلقات مفرغة
59) يوميات طبيب في وطن مسلوب
60) أصحاب الكرش
61) جئت ورحلت
62) سخصية مصر
63) ديور... ابن الحرب
64) رجل مدخر
65) ليلة فى الرنفة

obeikandl.com

66) استراتيجيات التسويق عبر الفيس بوك
67) يوميات مع نفسى
68) سلسلة القائد المتوازن.
69) يوميات واحد فيس بوكاوى
70) نصف انسان
71) اريد ان اكون زوجة ثانية

obeikandl.com